العدد: ٣٧ / السنة التاسعة / (يوليو - أغسطس) ٢٠١٣
مجلة علمية فكرية ثقافية تصدر كل شهرين من إسطنبول

حراء

مجلة علمية فكرية ثقافية

www.hiramagazine.com

النبوءة الصادقة

قِيمٌ في لهبها نقيم.. كاويات حارقات، جمرات لظى..
أيدينا عليها قابضات.. عنها لا نتخلّى.. وقبضًا عليها نزيد
أرواحنا لها فداء.. فيها النجاة والفوز والفلاح..
بشرى الأمين.. الصادق المصدوق..
به آمنا.. وإلى بشراه اطمأنّا...

* * *

من الفوضى إلى النظام-٢

المسلمون وحقوق الإنسان-٢

"حراء المعنى" بتونس الخضراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

حراء
مجلة علمية فكرية ثقافية
www.hiramagazine.com

العدد: ٣٧
السنة التاسعة
(يوليو – أغسطس) ٢٠١٣

نصف الجنون

منذ أن تفاقمت الحيرة الذهنية أو "نصف الجنون" الذي أدخل العالمَ في فوضوية فكرية عارمة وسلوكية أخلاقية هابطة، منذ ذلك الوقت والمفكرون الإصلاحيون يحاولون جهد إمكانهم إعادة البشرية إلى شيء من الموازنة والاتزان، وذلك بإيقاظ قواها الذهنية الراقدة، وحفز قواها الروحية الساكنة، وإعادة الإنسان إلى الوسطية والاعتدالية. هذا الإنسان الذي تعتصره الحيرة، وتذهب به بعيدًا في شطط من القول وشطط من الفعل، والموازنة بين جانبيه المادي والإلهي، فالكون الذي نحن جزؤه الأهم والأعظم، يضبطه النظام ويشدُّ أَصْرَه الميزان. وهذا هو ما يعالجه الأستاذ "فتح الله كولن" في مقاله الافتتاحي المعنون بـ"من الفوضى إلى النظام".

ثم ونحن نقلِّب صفحات "حراء"، يطالعنا "عصام أحمد البشير" في مقاله القيم عن أثر الشباب الناهض في صناعة مستقبل أممهم، غير أنه لا ينسى أن يذكّرنا ببعض الأزمات والمعوقات التي كثيرًا ما تعترض طريقهم في مشاريعهم النهضوية، ثم يعود ليربط ذلك كله بمفهوم " الأمن القومي"، الذي يرى الكاتب أن الشباب يمثلون الجانب الأكبر من جوانب هذا الأمن... صفحة مترعة بالمشاعر ومفعمة بالأحاسيس يسطّرها قلم "محمد باباعمي" في "حبيبتي يا زهرة اللاّله"، وهي تنمّ عن جمالية نفس الكاتب وتَحسّسه لمكامن الجمال في الحياة والطبيعة.

وعن" ذات الرقبة الطويلة" يكتب "عرفان يلماز" بحثًا علميًّا عن رقبة "الزرافة" وطولها، وعن سرِّ ذلك وأهميته في إعانتها على التأقلم مع الحياة الطبيعية التي تعيش فيها... وإذا كانت قوة عُملة أي دولة دليلاً على قوة هذه الدولة ومكانتها بين الدول، فـ"بركات محمد مراد" يكتب عن "سَكّ العملة في الحضارة الإسلامية" ومدلولات ذلك من الناحية الثقافية والحضارية والسياسية لأمم الإسلام... وأما "أحمد مختار مكي"، فقد كتب يذكّرنا بأهمية القصص الهادفة في ترسيخ القيم والمثل الأخلاقية والسلوكية عند الأطفال، وأهمية ذلك في غرس هذه القيم في نفوسهم بشكل قصصي ممتع.

وعن الوعي الحضاري والانتقال به من مرحلة الوعي الفكري إلى مرحلة الفاعلية في النباء الحضاري، فقد كتب عن ذلك "جاسم سلطان" مبيّنًا أسس هذا الوعي وطريقة تكوينه ثم تفعيله في المجتمع والأمة.

وفي بحثه الشيق يكتب "أحمد عبادي"، "المسلمون وحقوق الإنسان"، وهو تتمة للجزء الأول من هذا المقال، وهو بحث جيد ككل أبحاثه التي يتحف بها قرّاء "حراء" بين وقت وآخر... وعن صفحة من صفحات فكر "النورسي" رحمه الله، يتحدث "حمدادو بن عمر" عن اعتماد الحوار الإقناعي في فكر "النورسي"، مع إيراد أمثلة ونماذج من هذه الحوارات... و"نور الدين صواش" وكما هي عادته دائمًا، يكتب عن إحدى مَبَرّات السلطان "عبد الحميد الثاني" في بعض رعاياه.

وختامًا نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العدد من "حراء" بمقالاته زادًا للفكر ونبعًا للروح والوجدان.

المحتويات

من الفوضى إلى النظام–٢ / فتح الله كولن (المقال الرئيس)	٢
سفينة الإنسانية / حراء (ألوان وظلال)	٤
القرآن والحقائق العلمية.. محطات من التناغم العجيب / د. السيد حامد السيد (علوم)	٥
الشباب وصناعة المستقبل.. مآزق وآفاق / أ.د. عصام أحمد البشير (قضايا فكرية)	٩
في انتظار قدومك / حراء (ألوان وظلال)	١٢
الأزمنة الثلاثة / أديب إبراهيم الدباغ (أدب)	١٣
أب وابن / نجلاء محرم (تايخ وحضارة)	١٤
حبيبتي يا زهرة "اللآلَه" / د. محمد باباعمي (أدب)	١٦
ذات الرقبة الطويلة / أ.د. عرفان يلماز (علوم)	١٨
سك العملة في الحضارة الإسلامية / أ.د. بركات محمد مراد (تاريخ وحضارة)	٢٣
المآذن العثمانية.. رشاقة وبساطة وسموق / محمد حسن فخري (ثقافة وفن)	٢٧
القصة وغرس القيم / د. أحمد مختار مكي (تربية)	٢٩
الوعي الحضاري والانتقال إلى الفاعلية / د. جاسم سلطان (قضايا فكرية)	٣١
المسلمون وحقوق الإنسان–٢ / أ.د. أحمد عبادي (قضايا فكرية)	٣٤
تأملات معمارية في المسجد الكبير بـ"بورصة" / د. يحيى وزيري (ثقافة وفن)	٣٩
الحوار الإقناعي والمحاججة التربوية عند النورسي / د. حمدادو بن عمر (قضايا فكرية)	٤٣
يا رسول الله / عبد الله صدقي (شعر)	٤٧
يتيم القدر / د. رشيد كهوس (أدب)	٤٨
بين القلب والعقل.. التوازن الصعب / عبد العزيز بن عمر (قضايا فكرية)	٤٩
العلم التجريبي الحديث وأثره على عقيدة المسلم / محمد هاشم البشير (قضايا فكرية)	٥١
لغة العزم / حراء (ألوان وظلال)	٥٣
التوحيد والإنسان / د. عبد الحميد عشاق (قضايا فكرية)	٥٤
"حراء المعنى" تعزف "سمفونية البناء" بتونس الخضراء / طه كوزي (أنشطة ثقافية)	٥٦
السلطان عبد الحميد الثاني / نور الدين صواش (محطات علمية وحضارية)	٦٢

فتح الله كولن

من الفوضى إلى النظام-٢

إن الانسجام بين الأشياء والحوادث جبري واضطراري، والنظام بين البشر إرادي، ومصدره الأعظم هو مخافة الله ﷻ ومهابته. والنظام اسم جامع للأمان والاطمئنان والانسجام الاجتماعي، ورجاء المستقبل الزاهر. فلا يُنتظر الأمان والانسجام من الفوضى، ولا المستقبل والعطاء من اختلاط الحابل بالنابل.

قد يبدو لأول وهلة أن النظام أثر من آثار الإرادة البديهية والعقل المجرد. لكن عقلاً لم يَدْخُل في طاعة الروح، ولم يجتث جذورَ الالتفات إلى الشر، ولم يُعْلِ ميول الخير فيه إلى عنان السماء، كثيرًا ما ينحرف إلى الفوضى.

النظام يسود دائمًا ومنذ خلق العالم فيما عدا الإنسان من الكائنات. الانسجام في حركة الذرات، والرونق في وجوه الزهور، والتآلف والتوازن بين الموجودات الحية وغير الحية، وغمزات النجوم في صفحة السماء الفائضة في قلوبنا شعرًا

وعواطف، والمعاني المنسوجة خمائل على الأغصان والأوراق والأزهار، وأنفاس الروح في الحياة... نظام فتان يتحكم في كل مكان وكل شيء.

نعم، إنْ تأمّلَ الوجدانُ لحظةً واحدة في كتاب الوجود فأبْصَر، لشهد في كل مكانٍ النظامَ والانسجام فوّاحًا، وغنىً في الجمال والمعاني مدهشًا. ولا تمس الحاجة إلى تحسس شديد الرهافة، فالقلب المشحون بشيء من المشاعر يحس كل لون وصورة وصوت ونَفَس شعرًا ونغمًا متلونًا بألوان اللانهاية، في الرعد المهيب كما في تغريد الطيور وزقزقة العصافير، وفي وجوه الأزهار الفاتنة كما في أضواء صفحة السماء الساحرة. ومن يدري ما يشهده الذين يتقدمون خطوة إلى الأمام في فيزياء الوجود وكيميائه وحياتياته وفضائياته.

فكل شيء يقول: النظام... الانسجام... وكل شيء ينادي بالمعاني الرحيبة في روح الوجود. كل الأشياء من همهمات البحر إلى ضربات القفار الموحشة على أوتار أحاسيسنا، ومن السكون الوقور للتلال إلى شواهق ذرى الجبال، ومن دوي البحار الدائم إلى نعومة خمائل اللانهاية المرفرفة في أعماق السماء.

فكيف طرأ اللانظام -الذي نسميه الفوضى- على الأرض، والنظام ينبجس في كل مكان وفي كل شيء؟ لقد عرفت الأرض الفوضى، ومن خلفها اللاأخلاقية، مع بني البشر الذين لم يسلموا طوع عقولهم لله، ولم يكبحوا جماح إراداتهم نحو الشر، ولم يغنوا فيض مشاعرهم نحو الخير. الإنسان مخلوقٌ، أنواعُ رغباتهِ مفتوحة، وثغراتُه واسعة لا تقارن بما في حي آخر. فمن المعلوم أن في كل ثغرة من ثغراته، كالحرص والحقد والكره والغضب والعنف والشهوة، بُعدٌ موجي مختلف القوة من نزعات التخريب وميول العبث ودوامات الفوضى. ولا مفر من سقوطه في براثن نتائج غير مرضية ما لم يَضبِط ويُقيّد رغباته السيئة هذه بتربية حسنة، فيسمو بأحاسيسه الإنسانية، ويستجيب للعقد الاجتماعي الضمني المكنون في وجدانه بخواطر الرغبة والطلب، والفرح والحزن، والحق والحرية، مع احتساب وجود الآخرين.

إن إعادة النظر في تصوراتنا عن النظام، وتجديد الإيمان بأن إرادتنا هي التي ستحمل الانسجام الإلهي في الوجود إلى عالم الإنسانية، وسحب التوازن الدولي إلى هذا الفَلَك، هو أَجَلّ هدية تقدمها الأجيال المعاصرة إلى عوالم المستقبل الآتي.

ولابد أن تكون التربية التي تسمو به من درجة إنسان "بالقوة"[1] إلى إنسان "بالفعل"، ذات أفقٍ لاهوتي ومحورٍ وهبي. فينبغي أن تغذى ثقافتنا الذاتية بورود حدائقنا وعصارات جذور معانينا وأرواحنا، لكيلا تُرفَض من قِبَل الوجدان الاجتماعي العام والشعور التاريخي... وينبغي أن يتحقق العقد الاجتماعي في أرفع درجة حسب ظروف العصر في إطار ملاحظات الحقوق والحريات، لكيلا تفقد قوتها وشدتها، وتوقيرها وقيمتها، في شِباك التعارض والتساقط الذي تعيشه مختلف القطاعات الاجتماعية، أو في الدائرة الفاسدة للتحييد الناجم من التناقض. وليس المقصود من العقد هنا، سندًا اجتماعيًّا مختومًا بتواقيع الرضاء المتقابل في أسفله، بل المقصود، تعاقد الوجدان المتيقظ إزاء القيم الإنسانية على عقد مرتبط ومحدّد باحترام مفاهيم الحق والحرية وحب الحقيقة.

وإن البناء القلبي والرحابة الروحية للفرد، وتحول إيمانه ومعتقداته إلى جزء من طبيعته، يُعيّن حدود هذا العقد وإطاره. وبهذا الوجه يكون العقد الوجداني معادلاً لمستواه الإنساني. والمجتمع الذي أفراده قد تجاوزوا حدود جسمانيتهم وعاشوا حياتهم القلبية والروحية، هو مجتمع أنموذج للنظام. هذا النظام في عالم الإنسان يتصف بالديمومة والأمل في المستقبل، لأنه بُعدٌ من الانسجام الكوني المحيط بالوجود كله.

الدولة في عالمنا، كربّان سفينة مهيمن على القيادة في أهم المراكز الحيوية للكل المتكون من أجزاء توحي بهذه الأخلاق والفضائل. وواجبُ قبطان كهذا، هو أن يستفيد ويقيّم العناصر التي تحت تصرفه بأحسن وجه، وأن يوصلهم إلى الهدف من غير اصطدام بدواليب الحوادث، وذلك بالتأليف بينهم وبين نظام الكائنات. ولا يتصور مجتمع سليم ودولة راقية من أفراد حُرموا الفضيلة وجموع تحت إغواء اللاأخلاقية. وكذلك، الأمل في المستقبل من ركام الفوضويين المعتلّين بأمراض عديدة من كل جانب ليس

إلا انخداعًا. ومهما كانت الأسماء والأشكال، فإن الأمل في الحصول على شيء باسم الإدارة والأمن في خضم هذا الركام البشري المعزول عن السلاح أمام حظه الأسود، لا يزيد على أن يكون محض خيال. وأما انتظار الدولة والسلطة منه فهو سلوان كاذب لا يقوم على سند. فلا يمكن أن تتحقق الدولة والسلطة إلا بالقصد إلى فكر سامٍ يمنحهما الحياة في المجتمع، ويغذيهما، وببرمجة كل شيء بموجبه والالتفاف كخيوط المغزل حوله. وتلخيصًا، احتساب "الواحد الأحد" في كل حملة، وفي كل جهد.

نعم، ينبغي أن يجهز ويبرمج كل فرد وكل وحدة حياتية حسب مقصود رفع الأمة إلى الذرى... حتى لا تفسد الحسابات والمنافع الضئيلة المنعقدة على الأشخاص وئامَ الانسجام العام، وحتى لا تتموج الجموع البشرية المتنوعة رغمًا عن ذاتها كأمواج البحر فترتطم ببعضها وتتبعثر. ولقد تحددت هذه الغاية المأمولة بصورة رائعة في زمن سابق بفضل هيمنة روح الإسلام على الحياة. فتَحقَّقَ المسيرُ إلى الذرى وكأنه فعل طبيعي في الحياة، وذلك بجعل الأفراد والوحدات المكوِّنة للمجتمع أركانًا ومستنداتٍ للنظام.

إن إعادة النظر في تصوراتنا عن النظام، وتجديد الإيمان بأن إرادتنا هي التي ستحمل الانسجام الإلهي في الوجود إلى عالم الإنسانية، وسحب التوازن الدولي إلى هذا الفَلَك، هو أَجَلّ هدية تقدمها الأجيال المعاصرة إلى عوالم المستقبل الآتي. وأظن أن لدينا ما يكفينا لهذه الرسالة المهمة، إذا ما محّصنا إرادتنا كرّة أخرى، وفحصنا مقامنا عند الله، وعيَّنّا غاياتنا "الملّيّة"، ورصَّنّا استراتيجيات وسياسات مكينة، وشغَّلْنا حركيات موفورة في أيدينا. ■

(*) الترجمة عن التركية: عوني عمر لطفي أوغلو.

الهوامش

(١) المقصود من القوة هنا حال الإمكان والكمون. فإذا تحرك من الإمكان أو الكمون أو المكنون إلى الحدوث أو الظهور، فقد تحول من القوة إلى الفعل. (المترجم)

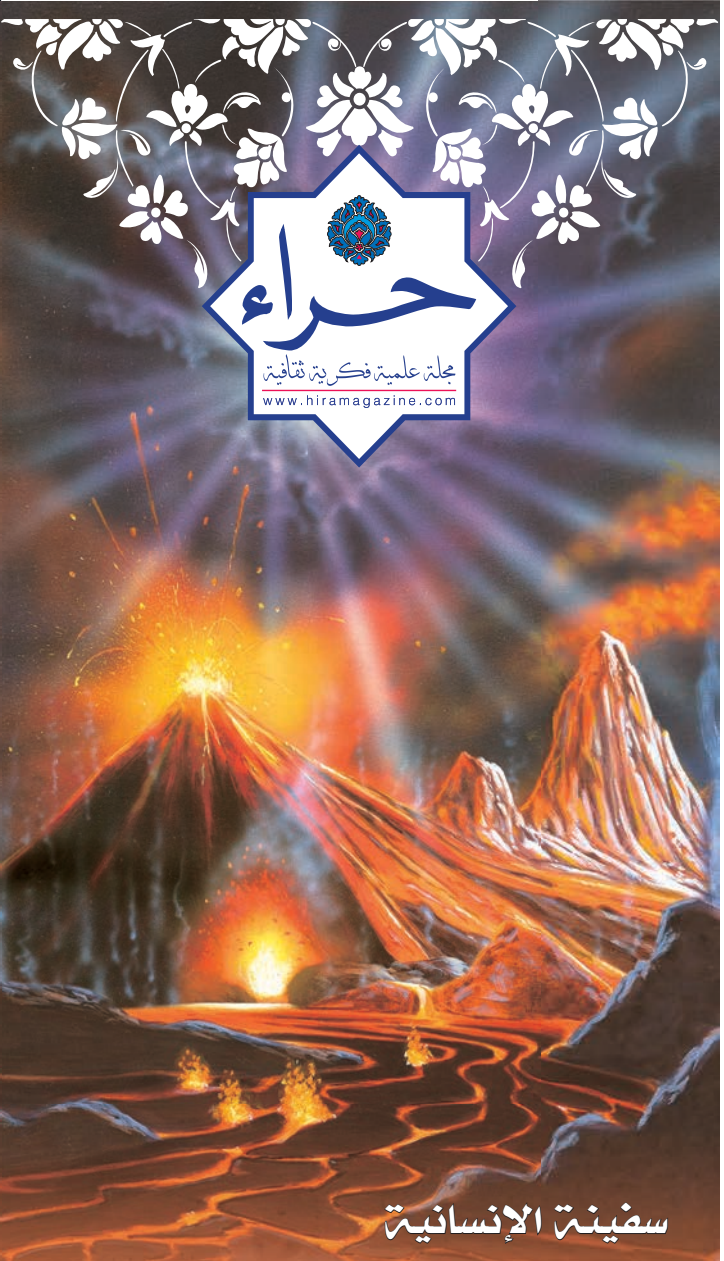

سفينة الإنسانية

راكبون..
على ظهر الدنيا مسافرون...
يتقاذفنا الموج،
ثائرًا مرةً، ورخيًّا أخرى...
ونحن مرعوبون إذا ثار، وخائفون إذا سكن...
ولكننا تواقون، وإلى الطمأنينة مشتاقون...
والقلبُ في دواخلنا ينادي:
"ألا بذكر الله تطمئن القلوب"...
فيا مسافر! إلى وطنك الأول عُدْ،
وإلى مستقر روحك أُسْمُ،
تطمئن نفسك، وتسكن روحك...

* * *

د. السيد حامد السيد*

القرآن والحقائق العلمية

محطات من التناغم العجيب

في سنة ١٩٨٩، أرسلت وكالة الفضاء الأمريكية ناسا قمرها الاصطناعي "Cobe Explorer" الذي قام -بعد ثلاث سنوات- بإرسال معلومات دقيقة إلى الأرض تؤكد نظرية "الانفجار العظيم" (Big Bang). وهذه الحقيقة العلمية ذكرها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا حيث قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾(الأنبياء:٣٠)، أي إن السماوات والأرض كانتا في الأصل عبارة عن كتلة واحدة (جرم ابتدائي واحد) في مرحلة الرتق، ثم أمر الله تعالى بفتق هذا

الجـرم الابتدائـي فانفتـق (مرحلـة الفتـق)، وتحول إلى سـحابة مـن الدخان (مرحلـة الدخان)، حيـث خلق الله تعالى من هذا الدخان كلاًّ من الأرض والسـماوات بما فيهما. والقرآن أدقُّ في تقرير الحقيقة، فهو "فتقٌ" وليس "انفجـارٌ"، لأن الانفجـار يؤدي إلى تفتـت الأجزاء، أما "الفتق" فهو انفصال مـع المحافظة على المكونات[1].

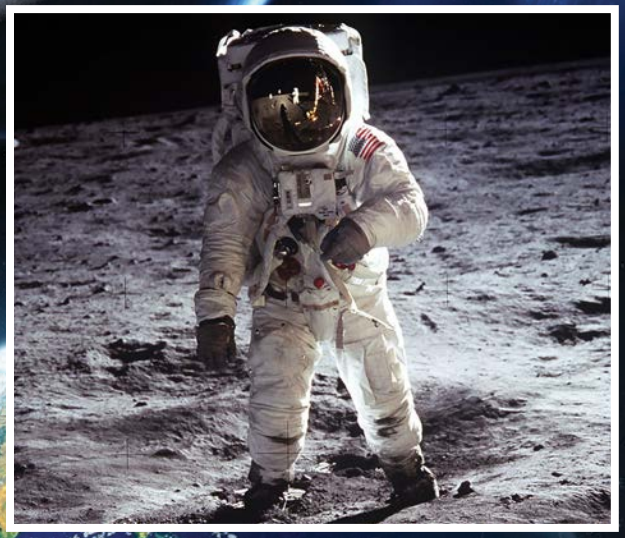

بدايات الكون

قـال تعالـى: ﴿ثُـمَّ اسْـتَوَى إِلَـى السَّـمَاءِ وَهِـيَ دُخَـانٌ فَقَـالَ لَهَـا وَلِـلْأَرْضِ ائْتِيَـا طَوْعًـا أَوْ كَرْهًـا قَالَتَـا أَتَيْنَـا طَائِعِينَ﴾(فصلت:١١). وقـد أثبـت العلـم الحديـث أن السـماء بدايتهـا الدخان؛ ففي ٨ نوفمبـر ١٩٨٩ أطلقت وكالة ناسـا مركبة باسـم "مكتشـف الخلفية الإشـعاعية للكـون" (Comic Background Explorer)، وقـام هذا القمر بإرسـال قدر هائل من المعلومات وملايين الصور لآثار الدخـان الكونـي الأول. وما نشـرته الوكالة بالنص هو: "Smoking Supernovae Solve A Ten Billion Year-Old Mystery"؛ ومعناه أن المسـتعرات الدخانية العظمى تحل سر ١٠ بلايين سنة، وهو عمر الكون التقريبي. واستطاع العلماء إحضار جزيئات من الدخان الكوني إلى الأرض وأخضعوهـا للتحليل المخبـري، فماذا كانـت النتيجة؟ يقـول العالم الذي أشـرف على هـذا التحليل: "إن هذه الجزيئات التي كنا نسـميها "غبارًا كونيًّا" لا تشـبه الغبار أبـدًا، وإذا أردنـا أن نصفها بدقة فائقـة، فإن أفضل كلمة هي كلمة "دخان" وباللغة الإنكليزية تعني "Smoke"[2].

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾

كلمة "الحُبُك" هي النسيج المحبوك والشديد والمحكم. وقالـوا بأن قوله تعالى: ﴿وَالسَّـمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ يعني ذات الشكل الحسن، وذات الشدة، وذات الزينة، وذات الطُرُق. ولقد بث المرصد الأوروبي الجنوبي (European Southern Observatory) مـن خلال موقعه على الإنترنت، اكتشـافًا عنوانـه "A glimpse of the very early universal"، أي، "لمحة عن النسيج الكوني المبكر جدًّا" تأكيدًا على لسـان العلماء الذين اكتشـفوا هذا النسـيج ورأوه للمرة الأولـى، يقـول فيـه: "إننا لا نكاد نشـك بأننـا -وللمرة

الأولى- نرى هناك خيطًا صغيرًا في الكون المبكر". ثم يقولون بعد ذلك بالحرف الواحد: "نحن نراه (أي هذا الخيط) في زمن عندما كان عمر الكون ٢ بليون سنة فقط".

﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾(البقرة:٢٢). وهذا ما أثبتته الوكالة في مقالة نشرتها بعنوان: "كيف تكشل البناء في الكون؟". ويحصي علماء الفلك في الجزء المدرك من السماء الدنيا ٢٠٠ ألف مليون مجرة -على الأقل- بعضها أكبر من مجرتنا بكثير، وبعضها الآخر أصغر بقليل. والمجرات عبارة عن تجمعات نجمية مذهلة في أعدادها، يتخللها الدخان الكوني بتركيز متفاوت في داخل المجرة الواحدة، والتي قد تضم عشرات البلايين إلى بلايين البلايين من النجوم. وبالإضافة إلى النجوم وتوابعها المختلفة، هناك السدم -على تعدد أشكالها وأنواعها- وهناك المادة بين النجوم (The Inter-stellar Matter)، وهناك المادة الداكنة (The Dark Matter) وغير ذلك من صور المادة والطاقة المبثوثة في ظلمة الكون.

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾(الذاريات:٤٧)، حقيقة قرآنية أثبتتها وكالة ناسا الفضائية. على سبيل المثال، ما نشر في موقعها بأن المعدل القياسي لقيمة التوسع هو من ٥٠ إلى ١٠٠ كم في الثانية، لكل مسافة بين مجرتين تبلغ ٣,٢٦ مليون سنة ضوئية، وما نشر على موقعها بحث بعنوان "هوبل يقيس تمدد الكون" (Hubble Measures the Expanding Universe)[٣].

يقول المولى ﷻ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾(النجم:١). أثبت العلم الحديث أن النجم عندما يتهاوى على نفسه وينغلق، حينئذ يبلغ أضعاف وزن الشمس. فإذا بلغ وزنه أكثر من عشرين ضعف وزن الشمس سمي بـ"الثقب الأسود"، أي "النجم الخنس"، أما إذا بلغ من ١,٤ حتى ٥ أضعاف وزن الشمس، تكوّن النجم الطارق وهو نجم نيوتروني. لذا كان قَسَم المولى ﷻ بـ"الخنس" بمبالغة في القَسَم: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾(التكوير:١٥) عن قَسَمه سبحانه بـ"الطارق"، لكون "الخنس" أضخم من النجم

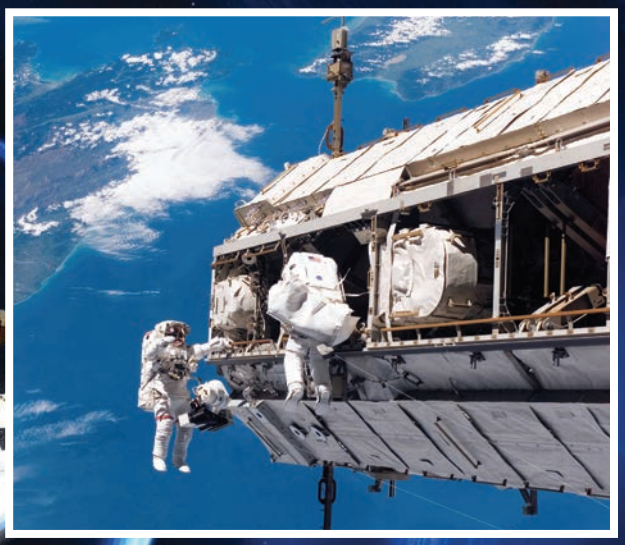

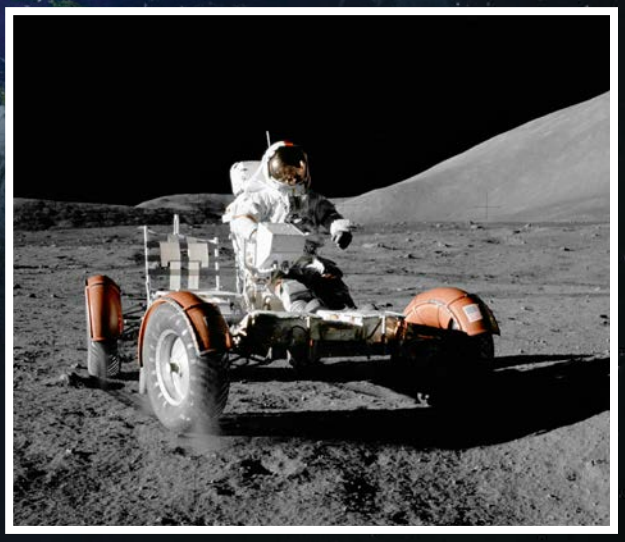

"الطـارق". وقال تعالى: ﴿فَلاَ أُقْسِـمُ بِالْخُنَّسِ ۞ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾(التكوير:١٥-١٦). ما نشـر عن "الخنس" في موقـع وكالة ناسـا الفضائية، أن هذا النجم لا يرى (أي خُنس) ويجـري بسـرعات كبيرة (جوار) ويجذب أيّ شـيء في طريقه (كُنس) وهي الصفات التي تناولها القرآن الكريم. ﴿وَالسَّـمَاءِ وَالطَّـارِقِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّـارِقُ ۞ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾(الطـارق:١-٣). وكمـا ذكر في كتـاب الله ﷻ، فإن النجـم الطارق يحقق نتيجتين: الأولى أنه يعطي طرقات منتظمة (طارق)، والثانية أنه يُصدر إشـعاعات تسـتطيع ثقب أي شيء يصادفها (ثاقب).

النهاية

الحسـابات الرياضيـة تشـير إلـى أن معـدلات التمـدد الكونـي عقـب عمليـة الانفجـار العظيـم، كانـت أعلى بكثيـر من معدلاتها الحالية، ومـع تباطؤ سـرعة توسـع الكـون، تتفـوق قـوى الجاذبيـة فتأخـذ المجـرات فـي الاندفـاع نحـو مركـز الكـون بسـرعات متزايـدة، فيبدأ الكـون فـي الانكماش والتكـدس على ذاتـه، وتتجمع كل صـور المـادة والطاقة المنتشـرة في أرجـاء الكون، حتـى تتكدس فـي نقطـة متناهية في الضآلـة تكاد تصل إلـى الصفـر أو العدم، ومتناهية في الكثافـة والطاقة إلى الحـد الذي تتوقف عنده كل قوانيـن الفيزياء المعروفة، أي يعود إلى حالته الأولى (مرحلة الرتق)، ويسـمى هذا بـ"الكون المغلق" (The Closed Universe)، وتسـمى عملية تجميـع الكون باسـم "نظرية الانسـحاق الشـديد" (The Big Crunch) وهي معاكسة لعملية الانفجار الكبير. وهذا تفسـير علمي لقول الحق ﷻ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّـجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(الأنبياء:١٠٤). ■

(*) باحث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة / مصر.

الهوامش

1. www.map.gsfc.nasa.gov/universe/bb_theory
2. www.nasa.gov
3. www.science.nasa.gov/newhome/headlines/ast25may99_1.htm

أ.د. عصام أحمد البشير*

الشباب وصناعة المستقبل

مآزق وآفاق

لا يُنظر اليوم إلى الشباب باعتبارهم صانعي المستقبل وحسب، بل على أنهم الفاعل الاجتماعي الأهم في الواقع، والمؤثر في الحاضر وإن تعددت وتراوحت تقويمات هذا التأثير سلبًا وإيجابًا.

ويشير التاريخ الإنساني بكل إنجازاته العلمية والفكرية إلى الإمكانيات غير المحدودة للشباب في صنع الحضارة، كما أن مقولة "الشاب عماد الأمة" تكاد تتواتر -بمقابلاتها- في جميع لغات العالم.

ولا ريب في أن قدرة الشباب على تحويل الأحلام إلى حقائق، والطموحات إلى إنجازات على أرض الواقع، تتطلب أن تُمهَّد السبل لهم كي تنطلق هذه الطاقات، وأن تُرفع كل القيود والمعوِّقات كي تستمر هذه السواعد. كما أن هذا يتطلب أيضًا، دعم الآليات التي تساعد الشباب على العمل والإنجازات وتبادل الخبرة والتعاون المشترك.

ولا يخفى على أحد -في ظل التكاشف الإعلامي الراهن- أن دون تحقيق ذلك الطموح البعيد، المرتبطِ به استعادةُ أية أمة نهضتَها، عوائقَ ومآزقَ تضيّق من آفاق المستقبل، وأيضًا تحديات تستلزم المواجهة الصادقة والمعالجة الناجحة قبل استئناف المسير.

مآزق الحاضر

إذا اتفقنا على أن على كواهل الشباب -فُرادى وجماعات- يقع عبءُ صناعة المستقبل والنهوض بـ"نوستالجيا" الماضي والأحلام التي لم يحققها جيل الآباء، وأن عليهم مواجهة واقع مختلفٍ والاضطلاع بأعبائه وهمومه، فإن من الواجب أن نربي شبابنا على التحلي بالواقعية في مواجهة أزماته الحاضرة، ولابد -من ثم- من أن يجابه الشباب الحقيقة -حقيقة الأزمة والمشكلات التي تمر بها الأمة- كما هي، ليستشعر عظم التحدي، وليستنفر همته ويشحذ طاقته. كما يجب أن يدرب الشباب على استخلاص الدروس والعبر حتى لا يكرر أخطاء الأجيال السالفة ولا يبدأ من "الصفر": ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(آل عمران:١٣٧).

ومن هنا، فالواجب على قادة الرأي ورائدي الفكر وأولياء الأمر عمومًا، أن يبينوا الحقائق كما هي مهما تكن أليمة وموجعة، وهذا هو بداية طريق العلاج الناجح.

الأزمات القاتلة

وسوف نحاول في عجالة، رصد أهم وأخطر الأزمات والمآزق الراهنة التي تسم حاضر الأمة الإسلامية بوجه عام، وبغض النظر عن بعض الاستثناءات هنا وهناك.

١- أزمة التعليم والأمية الحضارية؛ حيث يُمنَى العالم الإسلامي بأعلى معدلات الأمية في العالم، وحيث تنفصل "التربية" عن "التعليم" في أحيان كثيرة، وذلك يؤدي إلى فقدان العلم ودلالته القيّمة، وحيث صار هدف الشباب -في ظل الفراغ التربوي- هو الحصول على الشهادات الرسمية بوصفها غاية في حد ذاتها، لا وسيلةً لمراكمة المعرفة والترقي ماديًا وحضاريًا.

٢- أزمة الاغتراب الثقافي واهتزاز الهوية؛ حيث يتعرض الدين واللغة والإثمار إلى ما يهز التمسك بها، وهو ما يؤدي بالضرورة إلى المسخ والتقليد.

> **لا ريب في أن قدرة الشباب على تحويل الأحلام إلى حقائق، والطموحات إلى إنجازات على أرض الواقع، تتطلب أن تُمهَّد السبل لهم كي تنطلق هذه الطاقات، وأن تُرفع كل القيود والمعوِّقات كي تستمر هذه السواعد.**

٣- أزمة صراع الأجيال؛ حيث الغالب أن الآباء الذين يملكون زمام السلطة والمبادرة، لا يتفهمون مشكلات الشباب، فضلاً عن إتاحة الفرص لهم ليتولوا بأنفسهم عملية التغيير والإصلاح وتنفيذ الطموحات.

٤- أزمة الوصولية واختلال سلَّم القيم.

٥- أزمة البطالة -الصريحة والمقنعة- واللامسؤولية.

٦- الأزمة الاجتماعية بشكل عام -المادية والمعنوية- المؤدية إلى الضياع والإدمان وضعف الثقة بالنفس.

مصادر الأزمات

١- غياب القيادة الحكيمة والقدوة الصالحة (الفساد الاجتماعي والخلل القيمي).

٢- غياب الممارسة الشورية على الصعُد كافة (الفساد السياسي والاقتصادي).

٣- عدم استثمار أوقات الشباب وطاقاتهم (الإخفاق التنموي).

٤- سيطرة وسائل الإعلام اللاهية، وشيوع النمط الاستهلاكي (الخواء الثقافي والحضاري).

آفاق المستقبل

أصبح المستقبل حقلاً يمكن دراسته والتعامل معه بكيفية على درجة عالية من المنطقية، من خلال طرائق يفترض منها أن تكون محكمة أو شبه محكمة، ولها من القدرة على أن تعطي من النتائج ما هو مهم وضروري على هيئة خيارات وبدائل واستشراف و"سيناريوهات" يستفاد منها في مجالات السكان والبيئة والصحة والتعليم... وباختصار، في مجال النهضة الشاملة المنشودة لكل أمة.

والدراسات المستقبلية، تقوم على فحص منطقي علمي لظواهر حاضرة ذات تكوُّن ممتد في الماضي، ومبنية على العقل والمنطق والحس، وعلى العلم وقوانينه، واستنادًا إلى التجارب البشرية المتراكمة على مر العصور. فهي إذن ليست ضربًا من الكهانة، ولا من محاولة تسوُّر الغيب، بل

هي استقراءات واستنباطات ذات منهجية علمية مقنعة ودقيقة، تولد من الماضي وتترعرع في الحاضر وتنمو في المستقبل.

ومما يؤثر سلبًا في صحة مثل هذه الدراسات، ضعفُ المعلومات حول المستقبل، والتنبؤ بصورة واضحة ودقيقة. وهنا تتأكد ثانية -كما سلف التنبيه- أهمية أن نعرف الواقع ونصفه كما هو مهما بلغ سوءًا. فأول معرفة الدواء، وضع اليد على محل الداء مهما يكن هذا مؤلمًا.

من الأمن القومي إلى الإنساني

ومما يتصل باستشراف المستقبل ويسهم فيه كصورة واضحة له، التأكيد على اتساع مفهوم الأمن القومي (قدس أية دولة أو أمة). فمن الخطأ والخطر، قصره على حماية التراب الوطني وكيان الدولة ومواردها من الأخطار الخارجية، فهذا هو الحد الأدني منه، وهو يمتد من هذه النقطة إلى الجبهة الداخلية وحماية هُوية المجتمع وقيمه، وتأمين المواطن ضد الفقر والجهل والمرض، وضمان الحد الأدنى من الرفاهة والمشاركة السياسية.

ويتعلق الأمن القومي بهذه المحاور:

١- تنمية المجتمعات المحلية الأصغر.

٢- تنمية الثقافة وإعلاء قيم مجتمع الرشد والتراحم.

٣- حماية حقوق الإنسان وإشباع الحاجات الأساسية، للانتقال بالمجتمع من مجتمع الكفاف إلى مجتمع الكفاية إلى مجتمع الكفاءة والرفاهة.

موجّهات هادية

وبناء على هذا التصور السليم لمفهوم " الأمن القومي"، وإدراك قيمة تعزيزه في طريق بناء المستقبل، وإذ قدّمنا آنفًا أبرز المآزق التي تعوق مسيرة الأمة نحو مستقبلها، فإننا -ومن خلال التأمل العكسي- يمكننا استشراف آفاق المستقبل بما يتضمنه من تحديات ينبغي أن نتصدى لها جميعًا -ولا سيما شبابنا- الآن وليس غدًا كما يلي:

١- أمتنا أحوج ما تكون إلى الوعي بما يتربص بها، وإلى إرادة التغيير والعمل.

> **أمتنا في مسيس الحاجة إلى إعادة النظر في مجمل السياسات والمشاريع الراهنة، وتصحيح البنية التحتية، وترتيب الأولويات، والسعي الجاد للارتقاء في سبيل المشاريع التنموية التي تكفُل لها النهوضَ بخطىً واثقة.**

٢- أمتنا في مسيس الحاجة إلى إعادة النظر في مجمل السياسات والمشاريع الراهنة، وتصحيح البنية التحتية، وترتيب الأولويات، والسعي الجاد للارتقاء في سبيل المشاريع التنموية التي تكفُل لها النهوضَ بخطىً واثقة. ولا بد -في هذا السياق- من التضامن بين دول الأمة المسلمة والتعاون المشترك، لإيجاد تكتل يستطيع الصمود -بل المنافسة- بين التكتلات العالمية السائدة والمتوقع أن تسود مستقبلاً.

٣- يجب الاعتماد على التخطيط السليم والتنفيذ الجيد والمتابعة والتقويم، لتصحيح المسارات كلما وقعت زلاتٌ وأخطاء، كما يجب وضع خطوط تنموية تضع الزمن في حسابها.

٤- ضرورة الاعتماد على العلم والتكنولوجيا والبحث العلمي، كما يجب الحفاظ على الكفاءات العلمية وتحقيق طموحاتها كمًّا ونوعًا، فهي الثروة الحقيقية لأية أمة.

٥- الارتقاء بالحالة الاجتماعية للشباب وتأمين حقهم في الحياة الكريمة، وذلك بتوفير حاجاتهم المادية والروحية، وتلبية ضروراتهم الأساسية ولاسيما المسكن والزواج وفرص التعليم والعمل والصحة.

٦- يتعين الاهتمام الخاص بالطفولة ورعايتها وتأمين حقوقها وحاجاتها، وتشجيع الأطفال على اللعب وممارسة اللهو والإبداع، وتفجير الطاقات الخلاقة لديهم، وتشجيعهم على التعبير عن الذات... فهذا ما يصنع منهم شبابًا مبدعين.

٧- إيلاء الإعلام (مرئيًّا ومسموعًا ومقروءًا) أهمية بالغة، ليؤدي دورًا إيجابيًّا في نوعية الحاصلين -لا سيما الشباب منهم- وتسليط الأضواء على التحديات التي تواجه الأمة، وتحصين الأجيال الناشئة ضد التضليل والغزو الثقافي والإعلامي.

٨- وقبل هذا كله، وبموازاته ومعيته، يجب النهوض بالجانب الروحي نحو الفهم الأشمل والأعمق للإسلام

-عقيدة وشريعة، عملاً وسلوكًا- لتكون الأجيال الناشئة مؤهلة لحمل الأمانة وإبلاغ الرسالة إلى العالمين.

خاتمة

قبل سنوات، تساءل المفكر الفرنسي "روجيه جارودي": كيف نفتح أفقًا جديدًا ومستقبلاً ذا وجه إنساني وراء ساحات الدمار، وبعيدًا عن "حفَّاري القبور"؟!

ونحسب أن الجواب عن هذا لا يكون إلا بعد الإقناع بأن آليات "العولمة" دون مضامينها، عبارة عن إمكانات -بحسب الفيلسوف المغربي الدكتور طه عبد الرحمن- وبالتالي فواجب كل أمة أن تدعو إلى كتابها، طارحةً "بديلاً واقعيًّا وعمليًّا" لإمكان الحداثة والعولمة المهيمنة.

أما الأمة المسلمة، فالواجب أكثر تعينًا؛ أن تبادر إلى اجتراح مغامرة طرح البدائل العملية، وأن تقدّم نموذج "الرؤية العملية الإسلامية والإنسانية" متخطيةً مرحلة الاستكانة إلى أفكار "اضمحلال الغرب" و"تدهوره" و"سقوطه".

ومما يعزّز من فرادة البديل الذي يمكن أن تقدمه أمتنا، أن التجربة الإسلامية في مجال تربية الشباب، تطرح أنموذجًا متكاملاً في هذه السبيل، حيث قدم القرآن الكريم أنموذج التحري والبحث عن الحقيقة واستشراف غوامض الوجود ممثلاً في سيدنا إبراهيم عليه السلام، وأنموذج العفة والطهارة والحفظ والعلم ممثلاً في سيدنا يوسف عليه السلام، وأنموذج القوة والأمانة والبسالة ممثلاً في سيدنا موسى عليه السلام، وأنموذج الرحمة بالخلق والصبر على أذاهم حرصًا على هدايتهم إلى ما فيه خيرهم ممثلاً في سيدنا عيسى عليه السلام، وأنموذج التماسك والشخصية المستقلة المتوازنة ممثلاً في فتية الكهف، وسوى هذا من النماذج الرفيعة التي انتهت إلى الرسول الخاتم سيدنا محمد ﷺ، لتلتقي عنده معالم النبوة، وخصائص الهداة والمصلحين، وخلاصة التجربة الإنسانية من لدن آدم ﷺ ليكون خير أنموج للشباب في الأسوة والقدوة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾(الأحزاب:٢١). ■

(*) رئيس مجمع الفقه الإسلامي / السودان.

حراء
مجلة علمية فكرية ثقافية
www.hiramagazine.com

في انتظار قدومك

شجرةٌ خضراء أنتِ؛
ظلالك وارفة،
وأغصانك رائقة...
من قلْب الصخرة الصمَّاء انبثقتِ،
وبالنَّماء والحياة تنعّمتِ...
لستِ وحيدة ولا غريبة،
إذا ما بذورك نثرتِ،
وإلى الانتشار سعيتِ..
اقضي على عهد الاغتراب،
تشبعي بالإيمان، فلن يخيبك،
فأنت في عين الله،
يكلؤكِ ويرعاكِ...

* * *

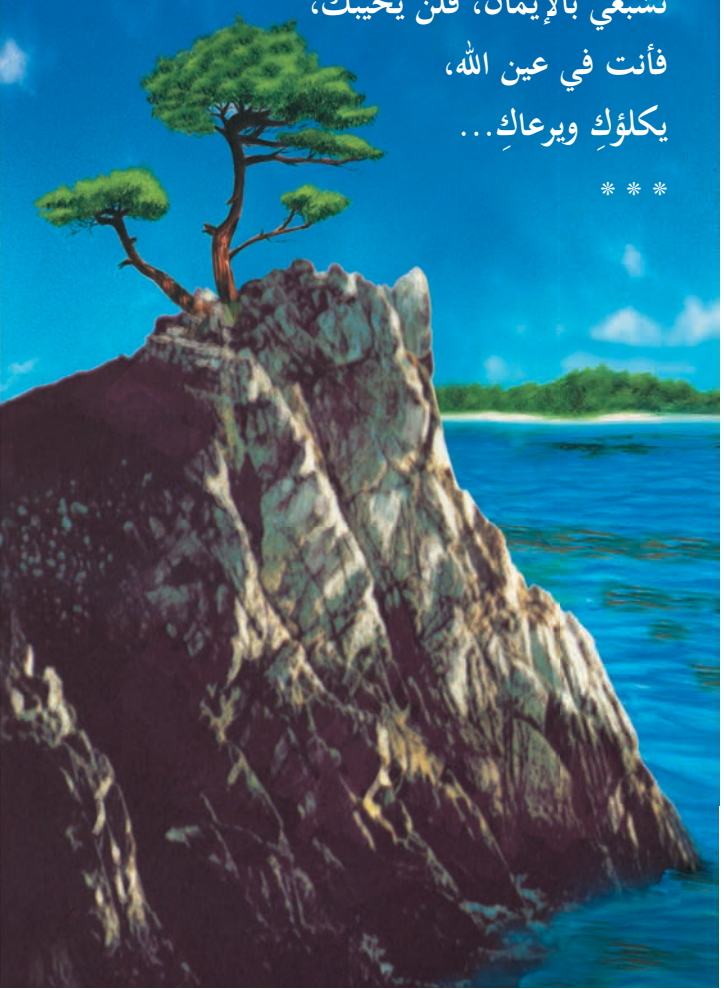

أديب إبراهيم الدباغ*

لا يغرنّك جمال الطريق... فزهرُه المزدان وعشبُه المخضَّر وشجرُه المورِقُ، ربما قادك -دون أن تشعر- إلى أجدب صحارى العالم. ولا تتجافَ عن طريق مهما أدْمتك أشواكُه، وأعنتتك وعوره وصخوره إذا قادك إلى ذلك المنعطفِ العظيم حيث يلتقي الصراطُ والجنةُ معًا.

(الموازين)

* * *

الأزمنة الثلاثة

حين يذوي ربيع قلوبنا، وتذبل أزاهير أرواحنا، وتَجفُّ سواقي عيوننا، وتقفر أيام حاضرنا، وتكثف ظلمة ليلنا، ويَنْفَضُّ سامرنا، وتُطوى سجَّادتُنا...

نَمُدُّ أيادينا لأيام ماضينا، نقتطف منها الذكريات، ننعش بها خيالَنَا.. نشرب من ينابيعها.. نَثْمُلُ.. نتنشي.. نطرب.. نتملاَّها.. نجتلي جمالها، نحياها من جديد.. نَسْتَنْشِق عبيرها، نعانقها، نحتضنها.. نُسِرُّ بها أرواحَنَا، نضاحكها، نمازحها.. نولج ذاتنا في ذاتها، وأيامَنا في أيامها.. ثم ننظر في مرآة الزمن، فتلتاث علينا الصور.. فلا ندري أنحن هي؟ أم هي نحن؟

أَمَّا حاضرنا، في موج ماضينا اندثر.. ثم غابَ وغام، وفي مدافن "الذات" ثوى، وكأنه ما كان، لا يعرفنا ولا نعرفه.. بَعُدَ من حاضر بائس بئيس، قفر يباب، فقر وجوع، قتل وقتول، موتى وقبور، وأيام سود، دموع وعَبَرات، أيامَى وثكالى، يتم وأيتام.. لا دمعًا يكفكف، ولا دمًا يُحَرِّم، ولا عِرْضًا يصون.. لا يواسي ولا يعزي، ولا عاثرًا يقيل، ولا كسيرًا يجبر، ولا خائفًا يجير...

ولكنّ النفس هي النفس.. لا تتآكلها الأزمنة ولا تتقاضمها الأمكنة.. هي اليوم تغلي وتفور، تصرخ وتئنّ، تشتعل نيرانًا، تتقد لهبًا.. تزداد معرفة، تتأصَّل حكمة.. تغالب اليأس، تبتعث الرجاء.. يتقوى نضالها، تشتد عزيمتها.. وإذا الأخطار بها حاقت ومنها اقتربت، انتفضت حياةً وتوهجتْ ألَقًا.. ونادتْ وقالتْ: أنا ابْنة العليين الآتين من قِمَم الغيوب.. خارقة الأزمان، صانعة المستقبل.. أسرع إليه.. أصوغه.. إلهيَّ النشأة، عبقريَّ البنيان.. شامخي الصرح، سماوي الأفق، خلودي الزمان...

يا أحباب، افتحوا للمستقبل الأبواب.. لا توصدوها، اتْركوها مفتَّحة.. فقد يأتي في كل ساعة، ساعة ليل أو ساعة نهار.. فهاجس ذهني لا يكذب، وحلم روحي لا يخيب، ورؤيا خيالي لا تخدع... ■

(*) كاتب وأديب عراقي.

نجلاء محرم*

أب وابن

نقض المعاهدون معاهداتهم، وتمرَّد الخاضعون... رأى الصبيُّ السلطانُ دولتَه يتنازعها أعداؤها وتنهشها ذئاب الطمع. فأرسل لأبيه -الذي تخلى عن العرش- يطلب منه العودة لمواجهة الخطر القادم، راجيًا أن يقف مدافعًا عن أوطان أمته، إلا أن الأب الزاهد، أرسل لولده رسالة يقول فيها: "الدفاع عن الأوطان من واجبات السلطان".

عندها كتب السلطان محمد الثاني البالغ من العمر أحد عشرة سنة رسالة وجيزة قائلاً فيها: "إن كنتَ أنت السلطان فعُدْ واجلس على عرشك وقُدْ جيشك، ولكن إن كنتُ أنا السلطان، فآمرك أن تعود وتجلس على عرشك وتقود جيشك".

لم يستطع السلطان العثماني "مراد الثاني" أن يخالف نجله... لم يستطع أن يغض الطرف عن جيشٍ قوامه تسعون ألف مقاتل يزحف نحو السلطنة... لم يستطع تجاهل نقض العهود والارتداد والنكوص والاستهانة بدولته. كما أدرك أن صناعة السلاطين لا تتحقق بمجرد تمكينهم من العروش.

عاد ثانية إلى العرش وتولى شؤون الدولة. وسرعان ما شرع يتدبر أمور رعيته وجيشه، ويعد العدة لمواجهة زحف الغدر القادم عليه. اصطحبَ وليّ عهده الذي كان سلطانًا بالأمس، وولّى نحو جيوش التحالف القادمة بقيادة "لادسلاس" من المجر، وبولونيا، وألمانيا، وفرنسا، والبندقية، وبيزنطة، وبروجنديا.

...

كان "لادسلاس" ملك المجر، قد وقّع مع "مراد الثاني" سلطان الدولة العثمانية معاهدة صلحٍ أقسم فيها بالإنجيل على حفظ بنودها ما دام حيًّا. إذ كانت المعاهدة تنص على وقف القتال لمدة عشر سنوات، وذلك ابتداءً من الثالث عشر من يوليو عام ١٤٤٤م. إلا أن "لادسلاس" انتهز فرصة تخلّي السلطان "مراد الثاني" عن العرش، للانقضاض على السلطان الصبي الذي لم يكن يملك الخبرة الكافية في إدارة الدولة. فجهز التحالف الأوربي وزحف نحو السلطنة العثمانية.

...

عبر السلطان "مراد الثاني" مضيق البوسفور متكئًا على كتف ولي عهده الصبي، وزحف قاصدًا قوات التحالف المتهجمة عليه. وصل "فارنا" ليلة السابع والعشرين من رجب سنة ٨٤٨هـ. واندلعت في اليوم التالي (العاشر من نوفمبر عام ١٤٤٤م) معركة ضارية حرص السلطان "مراد الثاني" على أن يرفع خلالها وثيقة المعاهدة التي وقعها مع ملك المجر "لادسلاس" على سن رمح، ليُشهد الجيشين ويذكرهما بنقض ملك المجر والأوربيين لها. ثم جرَتْ مبارزة بينه وبين "لادسلاس"، قُتِل فيها الأخير. وما لبث ان فرّ قائد جيوش التحالف الأوربية "هونياد" تاركًا خلفه جُلَّ جيشه أسرى.

عاد "هونياد" بعد أربع سنوات بحملة عسكرية أوروبية جديدة على العثمانيين، قوامها مائة ألف جندي.

اصطحبَ السلطان "مراد الثاني" مرة أخرى وليَّ عهده الذي أصبح شابًّا، متوجهًا نحو سهل "قَوْصُوَة" المعروفة الآن باسم "كوسوفو". وصل جيش العثمانيين إلى "قوصوة"، واحتدمت المعركة لثلاثة أيام متواصلة (من ١٧-١٩ نوفمبر ١٤٤٨) حسمها العثمانيون لصالحهم، وفرّ "هونياد" ثانية، تاركًا خلفه سبعة عشر ألف قتيل وعشرات الآلاف من الأسرى.

تعددت معارك السلطان "مراد الثاني" دفاعًا عن دولته وحفاظًا لأبناء وطنه. وأشهدَ وليَّ عهده كيف يعتني وليُّ الأمر بشؤون دولته؛ فشيد المساجد والجوامع، والمدارس والتكايا والزوايا، ودور الضيافة والخانات والجسور... ومهّد الطرقات، وأعدّ الجيوش، وأرسل السفارات والرسل للممالك والإمارات المجاورة... علّمه كيف يَعدِل بين رعيته ليضمن ولاء الجميع على تعدد مشاربهم وعقائدهم... علّمه كيف يفي بعهوده، وكيف ينتقم ممن يخونون عهده.

علّمه كيف يجنح للسلم ولا يتردد في الحرب ما دامت لصالح دولته وأمته... وجاء يوم الثالث من فبراير عام ١٤٥١م، شبَحُ الموت يطوف في سماء "بورصة" حتى لقي السلطانَ مراد في عمره التاسع والأربعين... دُفِنَ مراد الثاني حسب وصيته في مدينة "بورصة" في قبر بسيط مكشوف لا تعلوه قبة.

مات السلطان الزاهد في الحكم والحياة... وعاد ولي عهده لعرشه من جديد، ليصبح واحدًا من أكبر وأهم سلاطين العالم... ومَن ذا الذي يستطيع أن يربي ولدًا غير "مراد الثاني"، كـ"محمد الفاتح" الذي فتح القسطنطينية (إسطنبول) -بإذن ربه- ونال بشرى رسول الله ﷺ بعد وفاة أبيه بعامين؟! ■

(*) كاتبة وأديبة مصرية.

د. محمد باباعمي*

حبيبتي يا زهرة

اللاَّلَه (١)

أنا لا أعرف حقيقتكِ، ولا أدرك كنهكِ، فلقد كنتِ ولمَّا أكن، وستبقين بعد رحيلي.

في رقَّتك -يا عزيزتي- معاني الفتوَّة، وفي ألوانك دلائل الأخوَّة.

فيك التحَم الجمال بالخيال، وفي توجُّهك أمارات القرب من خالقكِ، والسؤال.

ومن عجبٍ أنَّ عيد ميلادك هو ذات عيد ميلادي، لكن شتان بين عيد وعيد؛ إذ بينما أنتِ تشبهين العمامة على رأس الأمراء والعلماء، أنا لا أشبه إلا نفسي، ولا أتمرَّغ إلا في ضحضاحي، فلا كنتُ من صنف الأمراء، ولا انتظمت بين سلك العلماء. أنت -يا حبيبتي- أميرةٌ على الأمراء، وأنتِ تفوقين في الشأو كثيرًا من العلماء.

أنتِ يدٌ مبسوطة نحو السماء تستمطرين البهاء، فتنالين منه الحظَّ الأوفر... وتستسقين الوصال، فتحظين منه بالمكان الأخطر.

أنتِ كأس شاي منعنع أو فنجان قهوة رقراقة، تُكرمين جميع الناظرين إليك، المتملِّين بهاءكِ، بلا تمييز ولا إقصاء، لا تبغين الأجرة ولا الأجر إلا ممن يعطي ويجزل العطاء.

أنتِ جرس مقلوب، توقظين فينا القلوب، فتغدو ذواتُنا ضارعة هفهافة رفرافة... كلُّ جرس دونكِ هو مجرَّد نسخةٍ طبق الأصل، وهو مجافٍ في حقيقته لمقاصد الوصل.

يا زهرة التوليب، يا حمراء، يا صفراء، يا بيضاء، يا زاهية الألوان... علِّمينا أن نكون، وإذا كنَّا، علِّمينا أن نحسن كيف نكون، وإذا أحسنا، علِّمينا كيف بعد أمدٍ أن لا نخون.

علِّمينا -كما أنتِ- أن تكون لنا حياتان: حياةٌ لما فوق الأرض، وحياةٌ لما تحت الأرض[٢]، حياةٌ للآني والزماني والحضاريّ وللعنفوان، وحياةٌ للماورائي والإيماني والرباني[٣]، أي للرضوان؛ لكن -يا حبيبتي- علِّمينا

كيف لا نفصم بين هذا وذاك، وكيف نجمع بين هذه وتلك... في سلاسة وانسياب... بلا جدل ولا ارتياب.

فأنت أنتِ، دومًا محمَّلة بالصدق والصفاء والوفاء، للخالق المبدع الملهم، بلا جفاء... أمَّا نحن، ففينا ومنَّا، وكلُّ واحدٍ منَّا، له وعليه، ساعةٌ وساعة؛ فساعةً نسمو وأخرى نخبو، وساعة نقترب وساعة نضطرب... لا نعرف الاستقرار على حال، ولا نصبر على الحادثات وعسر المآل.

يا زهرةً مِعطاء، ويا ربيبة الكُرماء، يا من أدمتِ السجود والقعود والقيام... بك الدنيا تشبَّهت، ومثلُك الأعمار قصُرت... فيك نتلو قول الجليل لنبيه الفضيل: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾(طه:١٣١).

فما عابكِ الله سبحانه ولا شانك، لكنه -تعالى شأنه- جعلكِ أمارة لنا، فأدَّيت ما عليكِ خير الأداء، إذ كلَّما جفَت قلوبنا، وطغت ذواتنا، وطفت أنانيتنا... وكلَّما أمَّلْنا في الدنيا، واطمأننا إلى الفانيات، وظننا أنَّا سنخلد أبدًا... كلَّما ظلمنا وتجبَّرنا، وغفلنا ونسينا، وجحدنا وكفرنا؛ كلَّما كان منا ذلك، أو بعضٌ من ذلك، وقفتِ لنا بالمرصاد، في لطفٍ تذكّرين وتهدّدين:

"يا هذا، انظر إليَّ، وتملَّ جمالي، فهل تدَّعي أنكَ بلغته، وهل تقدر أن تنافسني فيه؟

ثم انظر إلى قصرَ عمري، وإلى هرولة أيامي وِجهة الامّحاء... تذكَّر واعتبر، واعمل وجاهد، ثم اصبر وثابر...

وبهذا أكون لك دليلاً، لتكون أنتَ أوَّاهًا منيبًا، فتتخذني لأجل ذلك خليلاً... تبدأُ معي ساعات عمرك، لتختم بجواري ثمالة أنفاسك.

وهنالك، في الجِنان، سنلتقي، بإذن الله سنلتقي... حينها، سترى أني خالدة بجمالي وبهائي؛ رشيقةَ القدِّ حوراء نجلاء... حينها، ستعلم علم اليقين، أنكَ خالد بقربكَ من الواهب الكريم ذي الجلال الحليم... فكلانا يومها، في المقام والحسن سواء، يا جميل".

ألا ما أروعكِ يا زهرة "اللاله"، ليت القلوب القحطة تدركُ وتستدركُ؛ فتناجيك كلَّ فجر، وتناغيك كلَّ غروب... مثلي تمامًا، فهل أنتِ تسمعين، وهل أنتِ تدركين؟! سلامًا، يا حبيبتي إلى يوم الدين. ■

(*) مدير معهد المناهج، الجزائر العاصمة / الجزائر.

الهوامش

(١) زهرة التوليب وبالتركية "اللاَّله": نبات من الفصيلة الزنبقية، موطنها الأصلي تركيا. يطلقون عليها اسم زهرة العمامة، لأنها تتكون من عدة طبقات من البتلات الملونة تشبه العمامة التي يلفها الرجال في تركيا حول رؤوسهم. ولقد انتقلت إلى أوروبا منذ ٤٠٠ سنة وانتشرت فيها، فوجدت عناية خاصة بزراعتها في هولندا، التي أصبحت رمزًا لها ومصدر دخل كبير. وتركيا تحتفل كل عام بعيدٍ لـ"اللاله" في شهر أبريل.

(٢) لزهرة التوليب حياتان: حياة فوق الأرض تنتهي بالأزهار ذات الألوان الجميلة الحمراء والصفراء والوردية، وحياة أُخرى تنتهي بتكوين الأبصال الجديدة تحت الأرض. وهولندا تصدِّر منها سنويًّا بليوني بصلة.

(٣) "لاله" (lâle)، هي رمز الحب الإلهي في الحضارة العثمانية، لأنَّ حروفها هي نفس حروف اسم الجلالة "الله".

أ.د. عرفان يلماز*

ذات الرقبة الطويلة

مرحبًا عزيزي الإنسان... كيف حال الجوّ عندك؟ فعندي الريح ينسم بلين... ها قد جاء دوري للدردشة معك... أريد أن أبدأ بالحديث عن إتقانِ الصنعة التي أبدعها خالقي في رقبتي الطويلة. ولكن أريد قبل ذلك أن أضعك أمام صور من الادعاءات التي قيلت حول استطالة رقبتي... في الحقيقة إن "لامارك" هو أول من قدم نظرية عامة في التطور العضوي، وجاء مَن بعده مستخدمًا هذه النظرية في الإلحاد... وجعلني مثالاً بين عدة أمثال ضربها؛ حيث زعم أننا كنا حيواناتٍ صغيرة تشبه الماعز، ثم استطالت ونمت رقابنا وأيدينا نتيجة محاولة أجدادي المستمرة من أجل الوصول إلى غذائها من أوراق الشجر العالية، بعد أكلِ أوراق الفروع الأدنى منها(!) تلك هي قصتي المزعومة. فالقول بـ"تطور الأعضاء بالاستعمال، وضمورها بالإهمال" وفق هذه الرواية صحيحة نسبيًّا، ولكن هؤلاء لم يكتفوا بذلك وقاموا بتحريف الحقيقة وأسسوا قانونًا يجعل نشوء الأنواع عن بعضها بالتطور(!). وسبب قولي نسبيًّا هو أن الأعضاء التي يستخدمها أي كائنٍ حيّ ويعتمد عليها في حياته، تنمو أكثر من غيرها وتكون أقوى من الأعضاء المقابلة لها عند كائنٍ حيّ آخر لا يستعملها. إلا أن هذا التغيير لا ينتقلُ إلى المورّثات الجينية. فابن حامل الأثقال، لن يغدو ربَّاعًا مثل أبيه بالكسل والتهاون، بل بالجدّ والتدريب.

تُرى لماذا لم يتغير -حتى الآن- طول أجداد المواعز التي عاشت مع الزرافات في تلك الآونة، وبقيت على حالها رغم أنها لم تتوقف يومًا عن تطاولها على الأشجار والشجيرات العالية وتنهش أغصانها نهشًا؟ لقد ظلّ هذا السؤال وأمثاله دون جواب. كما أن الدراسات والبحوث المختبرية التي أجريت فيما بعدُ، دحضت كل الادعاءات حول هذه الوراثات.. وبعد ظهور حقيقة أنّ الخصائص التي يتحلى بها كل كائن حي قد تم وضعها على شكل شيفراتٍ جينية في الخلايا من قِبل عالِم لا يحاط علمه، وقدرةِ خبيرٍ لا تُحَدُّ قدرته؛ تبيَّن أنه لا يمكنُ أن تطول رقبَتي بإرادتي، أو بمحاولتي المستمرة للوصول إلى الأغصان العالية.

ولا يوجد أي دليلٍ يؤكد قول مَن قدَّم طولَ عنقي مثالاً للتكيّف البيولوجي وادعى أني تفوّقت على أقراني من الحيوانات بالتغذية الخاصة بي فقط. وبالتالي فكل الحيوانات النباتية تتغذى حسب الخصوصيات التي خُلقت عليها. وقد ميّزني خالقي عن غيري من الحيوانات، بنعمة الطول الذي يسهّل عليّ الوصول إلى أعالي الأشجار وتناول ثمارها وأوراقها الطازجة الطرية. لذلك بلسان حالي أشكره وأذكره على الدوام... فهو سبحانه أعطى كلَّ مخلوقٍ ميزة خاصة به، فلا داعي لأن يَغار مني أحد... فالكل ميسَّر لما خُلق له، وربي سبحانه جهّز كل كائنٍ بكل التدابير التي تلزمه في مواجهة الحياة والمعيشة.

تزويد وفق الحاجة

أعطاني خالقي قلبًا يساعدني في تغذية دماغي الذي يعلو عن الأرض بخمسة أمتار ونصف تقريبًا. وإذا كان ضغط الدم في الأوعية الدموية لديكم يبلغ ١٢٠ مم من الزئبق (الضغط العالي)، فقد زوّدني ربي بقلب يضغط الدم في الأوعية بقوة تبلغ ٢١٥ مم من الزئبق. وإذا قارنا المسافة العمودية بين القلب والمخ عند الزرافة -وهي حوالي ثلاثة أمتار- فلابد وأن يكون الضغط في الأوعية قويًّا جدًّا لكي يصل الدم إلى الدماغ. ولا ننسى أن هذا الضغط العالي في الأوعية خطرٌ يمكن أن يؤدي إلى تمزق الشرايين ونزف الدماء في الدماغ ثم الموت، وقد يمكن أن يرتفع ضغط الدم في القدمين إلى مستويات أعلى تحت تأثير الجاذبية الأرضية ويتسبب بانتفاخات الشعيرات الدموية ثم انفجارها. لكن لم يحدث كل ذلك، لأن الله سبحانه قدَّر كل شيء بعلمه المحيط فأحسن خلقه وتدبيره. فالشريان الأبهر الذي يحمل الدم من قلبي إلى جسمي، يفتح شريانًا سباتيًّا عبر العنق نحو الأعلى حتى يروي المخ بالدم الكافي. فالدماء التي تجري في الشريان السباتي نتيجة الضغط العالي، تجري -قبل وصولها إلى دماغي- في نظام عجيب عبر شبكةِ تصريفٍ معقدةٍ تسبب انخفاظ ضغط الدم في دماغي إلى ٩٠ مم من الزئبق، وبذلك أتقي النزيف الدماغي أو تفجُّر الشعيرات الدموية في الأذن والعين. وهذه العملية تشبه ضخ المياه في شبكة المدينة من أجل توزيعها

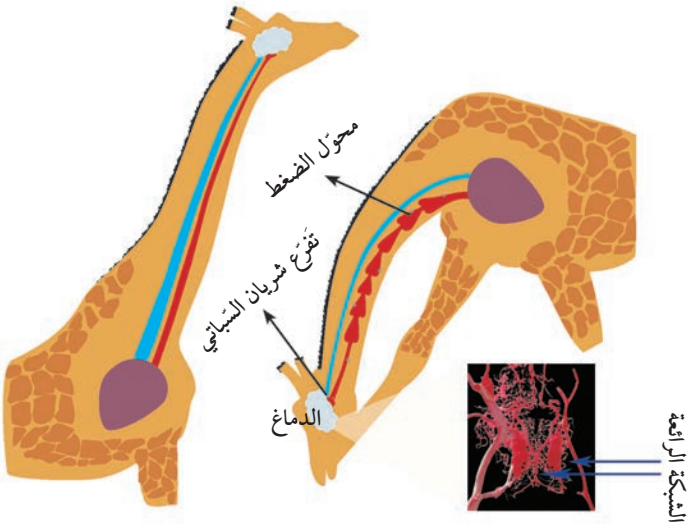

من الخط الرئيسي إلى عدد كبير من البيوت.

إن بديع الصنعة زوّد رِجليّ بآلية مختلفة متميزة، تطبّقونها أنتم البشر على طيّاري الطائرة النفاثة وعلى مرضى الدوالي. فالطيارون -إضافة إلى الجاذبية الأرضية- يتعرضون لجاذبيةٍ كبيرة جدًّا نتيجة الإقلاع السريع لطائراتهم النفاثة؛ حيث يتم اندفاع الدم الذي يجري في العروق نحو أقدامهم بقوة هائلة يمكن أن تتسبب بانتفاخات في عروق القدمين أو تمزقات فيها. لأجل حمايتهم من ذلك، يلبس الطيارون ملابس خاصة مصنوعة من أقمشة قاسية محكمة تمسك سيقانهم بقوة. كما أن الذين يضطرون إلى الوقوف الطويل دون حركة ومن ضمنهم مرضى الدوالي، يلبسون جوارب خاصة تضغط على أوردة أقدامهم. لعلكم عرفتم كل هذه الأمور بعد تجارب عديدة ودراسات طويلة، لكن ربي، بحكمته وعلمه، عندما خلقني جعل لساقَيّ أسفل الركبتين، جلدًا سميكًا قويًّا يحافظ على أوردتي من آثار ضغط الدم العالي.

وللحيلولة دون ارتفاعٍ كبيرٍ لضغط الدم في رأسي أثناء مَيلي به نحو الماء، أفتحُ قدمَيّ حتى يتدنّى مستوى قلبي، فيبقى الضغط في مستوىً يتحمله رأسي. وبما أنني أكون في هذا الوضع صيدًا سهلاً، تجدني في حذرٍ شديد عند شربي الماء. كما أن حاجتي إلى الماء قليلة أصلاً؛ حيث تحوي الأوراق الطرية في أغصان الأشجار العالية على ٧٠٪ من الماء الذي يحتاجه جسمي. ولكن إذا عثرتُ على ماء نقي في مكان يخلو من الخطر، عندها فقط، أفتح قدمَيّ وأحني رأسي لتناوله.

وكما هو عند معظم الثدييات، تتشكل رقبتي الطويلة من سبع فقراتٍ، كما هو الحال عند الفأرة والقطة وذوات الرقاب القصيرة. ربما كنتم تعتقدون أنه إذا كانت الفأرة تتمتع بسبع فقرات في رقبتها، فإن هذا العدد لدى الزرافة، ينبغي أن يكون أكثر بكثير. لكننا إذا استثنينا عددًا قليلاً من أنواع الثدييات، فإن رقابها جميعًا تحتوي على سبع فقرات. وهذا يدل على الوحدة والتشابه في التصميم المعماري في خلق الثدييات على تنوعها، ويدل على وحدة الخالق المتفرّد في خلقها. ومع هذا التشابه قدَّر الباري ﷻ في كل نوع عددًا غير متناه من الخاصيات التي تُظهر بدائعَ صنعة الخالق الواحد الخبير، وعظيمَ قدرته وعلمَه اللامتناهي. تتكون الفقرات في رقبتي من عظام كبيرة مترابطة ببعضها البعض ذات ثقوب متساوية، وبذلك يتم وقاية أنبوب الجهاز التنفسي وجهاز الأكل.

بطول عنقي الذي يقارب ستة أمتارٍ تقريبًا، أكون أطول مخلوق يقوم بالاجترار ذات الحوافر المزدوجة وذات القرنين بين الثدييات. أما قروني بالنسبة إلى الحيوانات الأخرى، فقصيرة جدًّا ومكسوّة بجلد مخمليّ. كما أن هذين القرنين يوجدان في ذكورنا وإناثنا. مجرى التنفس عندي طويل

يناسب طول عنقي، فالقصبات التي تصل فتحتي الفم والأنف بالرئتين يبلغ طولها مترًا ونصف متر، وقطر مقطعها ٥ سم، وهذا يجعل الفراغ في القصبات والشعب الرئوية كبيرًا يكثر فيه الهواء (العادم) المستعمل في التنفس الناتج عن الزفير مع الهواء الآتي من الشهيق، وهذا أمرٌ غير ملائم للتنفس، لكن ربي -جلت حكمته- زودني بقدرة عالية علىً التنفس. فأنتم تتنفسون ما بين ١٢-١٥ نفسا في الدقيقة، وأتنفس أنا أكثر من عشرين نفسًا يلبي حاجة جسمي إلى الهواء.

طعامي المفضل

أعيش في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية من إفريقيا، حيث تنتشر الواحات الخضراء من أعشاب السافانا الطويلة والأشجار العالية. أتغذى على النباتات الفلقية. وإن أفضل طعام عندي، هو أزهار أشجار الأكاسيا وأوراقها الغضة الطرية. كما أني آكل الأماكن المناسبة من البناتات الخشبية التي يتراوح عدد أنواعها في هذه المنطقة ما بين ٤٠-٦٠ نوعًا. إن فمي مهيَّؤٌ لتناول هذه الأنواع النباتية، حيث تقوم شفتاي المزوّدة بالمرونة والعضلات القوية، ولساني القوي الذي يبلغ طوله ٤٦ سم؛ وهذا يمكنني من تجريد الأغصان الشوكية من أوراقها بسرعة وحساسية عاليتين. فالنتوءات الطبيعية المصنوعة من الكرياتين والتي تغطي سطح لساني، تقوم بدور المشط وتحميه من الأشواك الضارة. تتناول الإناث من النباتات كميات أزيد من الذكور، وهي مضطرة إلى ذلك، لأنها المسؤولة عن تربية صغارها وتلبية قوتهم من حليب وغيره من الغذاء.

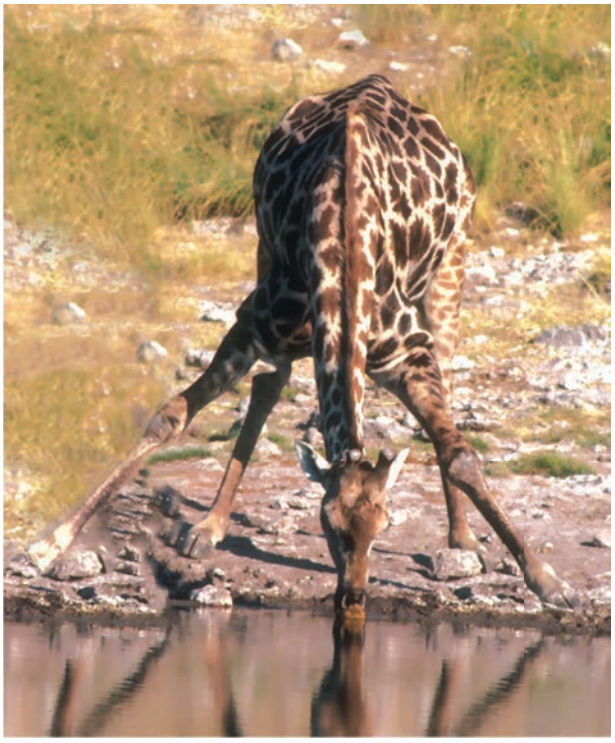

حياتي الأسرية

إننا نتناول بين الحين والآخر التراب والعظام، لنؤمّن ما تحتاجه أجسامنا من العناصر المعدنية كالكالسيوم.

يمكن لذكورنا أن يصبحوا آباءًا وهم أبناء ثمانية أعوام، كما يمكن للإناث أن تكنْ أمهات وهم بناتُ خمسٍ. وإذا كانت مدة الحمل عندكم تمتد إلى تسعة أشهر، فإن الجنين عندنا يُتِم في بطن أمه خمسة عشر شهرًا. ولما كان الحمل يتجاوز العام، لم يكن لدينا موسم محدد للتكاثر، لأن في المناطق الاستوائية لا يحدث فرق موسمي كبير، بل يبقى كالربيع والصيف عندكم... كما تكون الأنثى جاهزة للحمل من جديد بعد خمسة أشهر من وضعها. ويمكن لها أن تحمل من ٥ إلى ١٠ مرات طيلة عمرها الذي يبلغ وسطيًّا ٢٥ عامًا.

تلد الأنثى صغارها وهي واقفة على قدميها، وعلى الرغم من سقوط المولود من ارتفاع يبلغ مترين، فإنه يبدأ بعد دقائق من الولادة، بالترنّح البسيط ثم الجري على قدميه بشكل طبيعي. يزداد طولاً بمعدل ٨ سم في الشهر، ويرضع من أمه ١٨ شهرًا. وعلى الرغم من أننا نبدي حساسية بالغة في الدفاع عن صغارنا، فإننا مع الأسف نفقد ٥٠٪ منها فريسة للأسود والنمور والضباع وغيرها من الحيوانات الوحشية. لذلك تتجول الصغار برفقة اثنين أو ثلاثة من الزرافات البالغة. وبالتالي نعتمد في توقع الهجوم على حواسنا المرهفة من

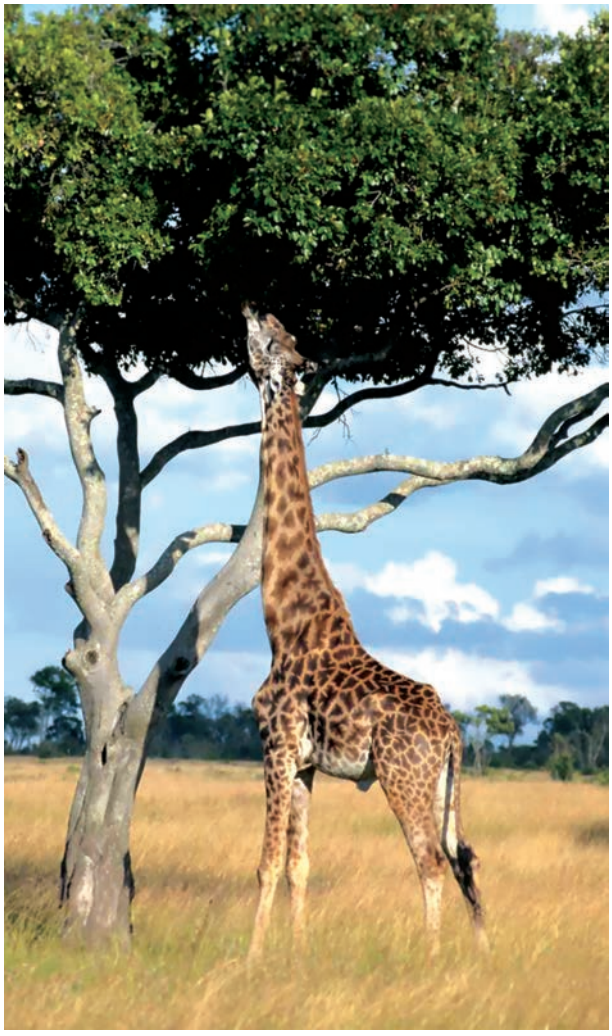

السمع والشم ونتميز بحدة البصر. حيث نستطيع به تمييز أسد متقدم من مسافة كيلو مترٍ واحد ما لم يقم بإخفاء نفسه، بيد إني أنام ساعتين فقط في اليوم الواحد.

وإذا كان الصراع يكثر بين الذكور من ذوات الحوافر من الحيوانات في مواسم التكاثر، فإنه يندر بيننا. فإذا ما دخلنا في صراع، فإن رؤوسنا تشتبك بضربات تبلغ قوتها ١٥٠٠ كغ، وربما ينتج عنها تحطّم القرون أو الفكين أو تؤدي إلى فقدان العيون. فماذا نفعل؟ إنها فطرتنا التي فطرنا الله عليها. ولذلك فإن عظام الرؤوس عند ذكورنا تكون غليظة قوية، ووزن الرأس يزداد بمعدل واحد كغ كل عام، حتى يبلغ قرابة ٣٠ كغ لذكرٍ في العشرين من عمره.

أثناء فراري من الأسد

تجري الاتصالات بيننا عمومًا بالحركات والإشارات، فإذا أحسسنا بخطر قادم، نبهنا بعضنا بالأصوات. وبالتالي يمكننا الاتصال فيما بيننا على مسافات بعيدة، معتمدين على أطوالنا العالية وبصرنا الحاد. فإذا رأيت مجموعة منا (من ٥ إلى ١٠ زَرافات) تنظر باتجاه واحدٍ مشنّفة آذانها، فاعلم أن عدوًّا ما يقترب منا في خبْث وغدْر. حينها نأخذ وضعيَّة الاستعداد للركل والقتال، أو نلجأ إلى حِرْزٍ مناسب. يحاول الأسد -وهو عدوّنا الأكبر- مطاردتنا إلى بقعة وعرة وأرض غير مستوية، فإذا دبَّ الذُّعْرُ في صفوفنا وبدأنا بالفرار ثم صادفتنا أرض وعرة، فقدنا ميزة ارتفاعنا عن متناول الأسد، أو فقدنا التوازن وتدحرجنا، وأصبحت أعناقنا في قبضة الأسد وكنا صيدًا سهلاً له. هذا ما يدفعنا إلى الاتجاه دومًا نحو الواحات السهلة المنبسطة لنجري فيها بسهولة وتوازن. إنه قدَرُنا جميعًا نحن الكائنات الحية، لنا أماكننا المحددة في الدورة الغذائية ودورة الحياة... تكاثرٌ متوازن في عالم الكائنات الحية، يؤمّن للصيّاد غذاءه وللفريسة استمرار نسلها في الحياة... حكمة بالغة تمضي في ظلالها الحياة ترجمانًا رائعًا لأسمائه الحسنى.

حلقة أخرى في حياتي

علاقة خاصة جدًّا تربطني بشجرة الأكاسيا التي هي طعامي المفضل. أتناول من أوراقها العالية الغضة وبراعمها الجديدة الطرية دون تعريض هذه الشجرة للجفاف والهلاك. لا أعرف كيف ينظّم ربي هذا الأمر، حيث يجعل الشجرة -بعد فترة- تفرز مرارة في أوراقها مما يمنعني من استمرار الأكل، فلا يكون طعامي عندئذ، إلا بمثابة تقليم تحتاجه الشجرة في نموها. ولكن لابد أن ننوه إلى المنفعة التي تحدث بيني وبين تلك الشجرة.

عندما أمد رأسي لأتناول الطعام من قمم الأشجار العالية، يعْلَق في شعيرات عنقي غبارُ الطَّلْع من أزهارها، وأثناء تنقّلي من شجرة لأخرى يتم عن طريق هذا الغبار التلقيح بين أزهار هذه الأشجار. ففي اليوم الواحد أقوم بتلقيح ما يزيد على مئة شجرةٍ تنتشر على امتداد عشرين كيلومتر مربع، تمامًا كما تساهم الحشرات في تلقيح الأزهار. ولابد من أن أعترف لكم، بأني أفعل ذلك دون علم مني، بل أقوم بذلك في ظل تقدير إلهي (ويسميه بعضكم غَريزة)، فأُشبع بطني وأساهم في تلقيح الأشجار وتكاثرها. أشكر ربي وأحمده حمدًا كثيرًا أنْ منحني فرصة إظهار قدرته وتقديم صنعته البديعة في خلقتي. ■

(*) جامعة ٩ أيلول / تركيا. الترجمة عن التركية: مصطفى حمزة.

أ.د. بركات محمد مراد*

سك العملة
في الحضارة الإسلامية

تُعد النقود الإسلامية من أهم المصادر وأدقها في إعادة كتابة التاريخ، كونها لا تقبل الخطأ، لأنها تصدر من جهة رسمية.

وأهمية النقود تبرز في كونها إحدى أركان الدولة، وشارة من شاراتها، وعنوان مجدها، تتصل باقتصادياتها وتشريعها وسائر أوضاعها وعلاقاتها بالدول المجاورة والمعاصرة لها.

ويعتقد الدارسون أن النقود العربية الإسلامية منذ ظهورها، اقتصر ضربها على التعامل والتبادل التجاري، ولم يتجاوز ذلك الضرب بأيّ حال من الأحوال إلى أغراض أخرى. إلا أن الدراسات العلمية، أثبتت أن للنقود دورًا آخر لا يقل أهمية عن الدور التجاري، ألا وهو الدور الإعلامي، حيث كان هذا النوع من النقود، شبيهًا بالدور الذي تلعبه الصحافة والإذاعة والتلفزيون والمؤتمرات في الوقت الحاضر.

كما تُعد النقود مدرسة للتصوير في مراحلها المختلفة، إذ تعطينا في كل فترة زمنية تصورًا كاملاً لمميزاتها العامة والخاصة لها. وتُعد النقود أيضًا مدرسة للخط العربي وتطوره بأنواعه المختلفة، ومدرسة لدراسة العناصر الزخرفية بأشكالها المختلفة الهندسية والفلكية والنباتية والحيوانية والآدمية... ولا ننسى ما تضم دراسة النقود من كُنى، وألقاب ومُدن، وشعارات تستوعب دراسة كل منها معجمًا خاصًّا بها تسد فراغًا كبيرًا في المكتبة العربية والإسلامية.

الدينار الإسلامي

إذا كان الدينار الذهبي الذي أصدرته الإمبراطورية البيزنطية قد اكتسب تلك المكانة الدولية في صدر العصور الوسطى، فإن الدينار الذهبي الإسلامي الذي أصدره الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م) قد حظي بمكانة عالمية، واكتسب بجدارة احترامًا وقبولاً في أرجاء العالم القديم دون أن ينازعه في ذلك منازع، منذ أوائل القرن الثامن الميلادي (الثاني الهجري) حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري).

إن إلقاء بعض الضوء على قصة "عالمية" الدينار الإسلامي، يشكل موضوعًا مهمًّا وممتعًا. كان سك الخليفة عبد الملك للنقود الإسلامية (الدينار الذهبي والدرهم الفضي) من أهم أحداث التاريخ الإسلامي نظرًا لما ترتب عليه من نتائج بالغة الأهمية اقتصادية وسياسية، محلية وعالمية، بل يمكن القول إن هذا الإنجاز كان إيذانًا بـ"انقلاب" جذري في النظم المالية والاقتصادية التي كانت سائدة في عالم العصور الوسطى.

ولكي ندرك هذا الإنجاز على حقيقته، علينا أن نتعرف

بداية على الخريطة النقدية التي كانت سائدة في العالم عشية ظهور الإسلام في مستهل القرن السابع الميلادي. فقد أجمعت المصادر أن الإمبراطورية البيزنطية كانت الدولة الوحيدة التي تصدر العملة الذهبية وهي المعروفة باسم "الصولدي". والدولة الفارسية كانت تصدر العملة الفضية وهي الدرهم الفضي الفارسي. أما المماليك الجرمانية البربرية التي كانت قد قامت على أنقاض الإمبراطورية الرومانية في الغرب الأوربي منذ القرن الخامس الميلادي، فقد كانت لا تسك إلا عملات فضية.

وقد استخدم عرب الجزيرة في تجارتهم مع الشام وفارس واليمن قبل الإسلام بشكل رئيسي، الدينار البيزنطي والدرهم الفارسي، ولم يكن أمام الدولة الإسلامية الناشئة خيار سوى استخدام النقود المتداولة من بيزنطية وفارسية؛ خدمة لشؤونها المالية والاقتصادية، وحرصًا منها على مصالح الناس عامة، ولا سيما أن الهم الأول للمسلمين في تلك المرحلة، كان نجاح الدعوة الإسلامية وتثبيت أركان الدولة، ونشر الإسلام في الجزيرة وخارجها. ولهذا فإن سك نقد جديد لم يكن مطلبًا مُلحًّا آنذاك، كما أن الشروط اللازمة لنجاح مثل هذا المشروع لم تكن قد توفرت بعدُ.

ولكن على الرغم من ذلك فقد حاول بعض الخلفاء والأمراء المسلمين قبل عبد الملك سك بعض النقود، ولكنها جاءت في معظمها على طراز النقود الفارسية والبيزنطية، ولم يتم تداولها رسميًّا. وعلى أي حال، فقد شكلت هذه المحاولات إرهاصات أولية لظهور النقود الإسلامية.

وقد أشار الكتّاب المسلمون إلى علم النقود أو "علم النميات" (Numismatic)، ولكن في نُبذ عرضية أو فصول خاصة -فيما عدا "المقريزي" الذي خصص كتيّبًا أسماه "شذور العقود في ذكر النقود"- وأطلقوا على النقود الإسلامية لفظ "السّكة".

ولما استخلف أبو بكر الصديق ﷺ، عمل بسنة النبي ﷺ في إقرار التعامل بتلك النقود ذات الصور الآدمية والشارات غير الإسلامية، ولم يغير منها شيئًا. ولكن ما لبث المسلمون في عهد عمر بن الخطاب ﷺ أن أصبحوا سادة فارس وما بين النهرين والشام ومصر، فأبقوا على نقود كانت مألوفة لديهم. ثم ضرب عمر بن الخطاب ﷺ بعض الدراهم على نقش الكسروية وشكلها، وغيّر في بعضها "الحمد لله" وفي بعضها "لا إله إلا الله". وكذلك فعل عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

تعريب السكة الإسلامية

وتؤكد لنا النقود ما جاء في المصادر التاريخية، أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٧٦هـ) كان أول من عرّب السكة الإسلامية تعريبًا كاملاً حين بدأ بتعريب الدواوين؛ حيث وجد أن من ضرورات الاستقرار السياسي والاقتصادي، إضفاء الطابع الإسلامي على جميع الميادين الإدارية والمالية.

ويقف كذلك وراء قرار عبد الملك بتعريب العملة، جملة من الأسباب، ولكن السبب المباشر هو ما عُرف تاريخيًّا باسم "مشكلة القراطيس"، أي ورق البردي. وخلاصتها أن مصانع البردي في مصر اعتادت أن تبعث بهذا الورق إلى بيزنطية، وقد كتبت عليه بسملة التثليث (الآب والابن وروح القدس) باللغة اليونانية.

واستمر هذا التقليد قائمًا بعد فتح مصر على يد المسلمين، ولا سيما أن أصحاب هذه المصانع كانوا أقباطًا، وقدَّر الله أن يتنبه عبد الملك إلى هذا الأمر، فطلب من عامله على مصر بأن يلغي هذا التقليد، وأن يكتب على البردي: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾. وعندما علم الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني (ت ٧١١م) بذلك، استشاط غضبًا وبعث إلى الخليفة أكثر من مرة يطلب منه سحب قراره. وعندما أدرك

الإمبراطور أن عبد الملك مصمم على موقفه، هدّده بأن يصدر دنانير تحمل نقشًا مُهينًا للإسلام والمسلمين. فاستشار الخليفة أصحابه، واتخذ في ضوء ذلك قراره التاريخي بسك الدينار الذهبي الإسلامي، وتحريم تداول الدنانير البيزنطية تحريمًا كاملاً. وبذلك انتزع من جستنيان الورقة التي كان يهدد بها.

ولقد أزال عبد الملك عن النقود الإسلامية رسوم الأباطرة البيزنطيين والشارات المسيحية من الدنانير، وكذلك ألغى رسوم الملوك الساسانيين وشارات معابد النار، مستعيضًا عنها بآيات من القرآن الكريم ومأثورات إسلامية خالصة، بل نجد على الوجه الثاني للعملة تاريخ الضرب واسم المدينة.

تؤكد لنا النقود، ما جاء في المصادر التاريخية، أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان كان أول من عرّب السكة الإسلامية تعريبًا كاملاً حين بدأ بتعريب الدواوين؛ حيث وجد أن من ضرورات الاستقرار السياسي والاقتصادي، إضفاء الطابع الإسلامي على جميع الميادين الإدارية والمالية.

الاستقلال المالي

وانتهى النزاع باشتعال الحرب من جديد بين المسلمين والبيزنطيين، تلك الحرب التي كان النصر فيها للدولة الإسلامية.

ومما لا جدال فيه أن هذه الحرب لم تكن مجرد صدام بين حاكمين، ولكنها كانت تحديًا وصراعًا بين حضارة قديمة تفتخر بتراثها الديني وسلطتها العالمية من ناحية، وبين دولة فتية تحتم عليها أن تفسح مكان لعقيدتها الدينية الخاصة بها، ولحقوقها الخلافية من ناحية أخرى.

ويرى الباحث "عادل زيتون"، أنه إذا كانت "مشكلة القراطيس" هي السبب المباشر لقرار عبد الملك في سك النقود الإسلامية -الدنانير منها والدراهم- إلا أن هناك أسبابًا أخرى ربما تفوق في أهميتها تلك المشكلة... وفي مقدمتها رغبة الخليفة في تحقيق الاستقلال المالي عن الدولة البيزنطية، وفي التخلص من الفوضى التي كانت سائدة في النقود الأجنبية المتداولة في العالم الإسلامي آنذاك، الدنانير منها والدراهم، نتيجة تنوعها واختلاف أوزانها وعيارها، وما كان على تلك الفوضى من أضرار مالية واقتصادية تلحق بالدولة والرعية على السواء. هذا فضلاً عن رغبة الخليفة في التخلص من الغش الذي انتشر في تلك النقود، وأدى بالتالي إلى انخفاض قيمتها الشرائية وارتفاع الأسعار وانعدام ثقة الناس بها.

وجاء شكل الدينار الذهبي الإسلامي الذي سكه عبد الملك عام (٧٧هـ) على النحو التالي: نقش على أحد الوجهين "الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد"، ونقش على مدار الوجه نفسه "بسم الله، ضرب هذا الدينار في سنة سبع وسبعين"، أما على الوجه الآخر فقد نقش "لا إله إلا الله وحده لا شريك له"، ونقش على مداره "محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله". أما وزن هذا الدينار فقد كان ٢٥،٤ جرامًا وهو الوزن الشرعي للدينار. وكانت نسبة الذهب فيه نحو ٩٦٪.

وقد أخذ الدينار الإسلامي بالانتشار التدريجي، وغدا العملة الذهبية الوحيدة في العالم الإسلامي؛ من حدود الصين شرقًا إلى الأندلس غربًا، ووضعت الدولة الإسلامية النظم والقواعد لدعمه وحمايته. ولكن لم يقتصر انتشار هذا الدينار داخل حدود العالم الإسلامي فقط، وإنما اجتازها إلى مدن العالم القديم وأسواقه أيضًا.

السيادة الاقتصادية

ولا ننسى أن قوة اقتصاد العالم الإسلامي وازدهاره، من أهم العوامل التي ساعدت الدينار على تحقيق مكانته العالمية. فقد أصبح للمسلمين جميعًا -في

العصور الوسطى- سيادة اقتصادية على الشرق والغرب، فثرواتهم الزراعية منها والصناعية وما تميزت به من تنوع وجودة وسمعة عالمية، جعل التجار المسلمين يمسكون بأيديهم معظم التجارة الدولية آنذاك. فقد غدت الطرق التجارية الكبرى -البرية منها والبحرية- بأيدهم أو تحت إمرتهم. ويضاف إلى ذلك كله أن البحر الأبيض المتوسط قد تحوّل منذ مستهل القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) إلى بحيرة إسلامية.

وأضحت النقود الإسلامية خير سفير لعقيدة التوحيد بما تحمله من كتابات عربية وآيات قرآنية، اكتسبت الثقة بين شعوب أوربا التي أطلقت عليها لفظ "المنقوشة" كما وردت في النصوص اللاتينية، بل إن بعض ملوك إنجلترا -وهو الملك أوفا- لم يقبل شعبه غير النقود التي ضربها تقليدًا للنقود العربية المنقوشة. ولا زال بالمتحف البريطاني واحد من دنانير الملك "أوفا" وعليها شهادة التوحيد والرسالة المحمدية والتاريخ الهجري عام (١٥٧هـ) واسم الملك باللاتينية.

وأخذت النقود الأوربية المقلدة للنقود الإسلامية يزداد ضربها حتى القرن الثالث عشر الميلادي، ولم يمنع ذلك من تعامل أوربا بالنقود العربية الإسلامية. وقد استعارت أوربا في معاملاتها التجارية كلمة "سكة" لتصبح في الفرنسية (Seguin)، وفي الإيطالية (Zecca)، كما استعيرت من العربية كلمة "صك" لتصبح (Cheque).

الخط العربي والزخرفة

ومن ناحية أخرى، فإن أثر الخط العربي والكتابات العربية المنقوشة على النقود الإسلامية، كان له تأثيره على النقود الأوربية. وهو موضوع قد حظي بكثير من عناية الباحثين الأوربيين.

وقد أفادت صناعة العملة وصكها، من تقدم فنون الزخرفة الإسلامية. فقد تميز فن العملات الإسلامية بالمزج بين الخط والتجريد. وقد حافظ التيار الرئيسي للعملة الإسلامية على نهج القرن الرابع الهجري الذي يعرض عن الصور، باستثناء قطع قليلة تأثرت بمصدر غير إسلامي.

إن إلقاء نظرة عابرة على الدنانير الأموية والعباسية، يترك انطباعًا بأنه لم يطرأ أي تغيير على شكل الدينار الإسلامي لمدة تناهز قرنًا من الزمان. لكن في أوائل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ظهر طراز جديد من العملة العباسية فيه ميل متزايد إلى النقش الزخرفي. واستمر هذا الاتجاه حتى أصدر الفاطميون طرازًا جديدًا من النقود، يختلف عن الطراز الذي استعملوه عن الأغالبة. ويتميز الطراز الفاطمي، برقة خطه وأناقته وبروز النقوش الدائرية. وقد أدى الاستقرار الذي تمتعت به العملة الفاطمية إلى تقليدها ليس فقط من قبل الأيوبيين، بل ومن قبل بعض الدويلات المعاصرة، مثل الصليبيين والسلاجقة.

الجدير بالذكر أن النقود الذهبية بعد التعريب، لم يسمح الخليفة الأموي بضربها في غير مصر وسوريا، فانحصر إنتاج الدنانير العربية في دار السك بدمشق والفسطاط، وأصبح من الصعب في نقود العصر الأموي التمييز بين تلك الدنانير السورية أو المصرية بعد أن وحد بينهما المظهر العربي العام، الذي حدده إصلاح عبد الملك للنقود وخاصة في الكتابة العربية المنقوشة.

وإذا كان من الصعب علينا التمييز بين النقود الذهبية التي ضربت في مصر وبين تلك التي ضربت في سوريا في العصر الأموي، فإن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة للنقود من الفلوس التي كان يسجل عليها أسم الوالي أو عامل الخراج الذي ضرب النقد على يديه وتحت إشرافه، كما يحمل اسم مكان السك أحيانا. ولذلك يمكن اعتبار هذا الفلس نقطة التحول إلى الفلوس العربية؛ فقد ظهرت بعد ذلك سلسلة من النقود البرونزية في مصر الأموية -بوجه خاص- كشفت عنها حفائر الفسطاط، وتزدان بها مجموعة متحف الفن الإسلامي، وتحمل هذه النقود أسماء الولاة أو عمال الخراج الذين تولوا أعمالهم في مصر.

وقد تميزت الدراهم الأموية بجمال خطها ودقة وإتقان ضربها، بالإضافة إلى صفاء ونقاء معدن الفضة التي ضربت منه. وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على وفرة المعادن. ونظرًا لاتساع رقعة الدولة وترامي أطرافها، نجد أن دور السك بالنسبة للدرهم، بلغت ما بين "دراسك" من الأندلس غربًا إلى "كاشغر" في الصين شرقًا. ■

(*) رئيس قسم الفلسفة والاجتماع، كلية التربية، جامعة عين شمس / مصر.

محمد حسن فخري*

كل موجود في هذا العالم ما لم يتخذ من الصبر عدّته فلن يبرح مكانه، ولن يتقدم إلى الأمام خطوةً واحدة.. فبالصبر تتوالى الخطوات.. وتتحقق الأهداف.

* * *

(الموازين)

المآذن العثمانية

رشاقة وبساطة وسموق

المئذنة تعلن التوحيد وتشرئبّ إلى السماء، تريد الانعتاق من الأرض إلى السماء، من المادة إلى المطلق... فالمئذنة تعطي السموق وترتفع إلى أعلى لتأكيد هذا الرمز.

في هندسة المئذنة قمة التجريد، وكأنها تبغي -بالتماس مع السماء- الوصل والاقتراب.

فالمئذنة عنصر معماري مرتبط بالزمان والمكان... فسموق المئذنة مستوحى من سموق النخيل -أروع الأشجار وأكثرها ثباتًا- وهذا السموق مؤثر لإمكانية سماع صوت المؤذن في الفضاء الكوني.

الأذان سمعيًّا مرتبط بالعمارة... ويتآلف الاثنان من أجل رسالة التوحيد مرتبطين برحلة الشمس اليومية ما بين مشرق ومغيب، وفجر وغسق، وسحر وشفق... وبالتالي مواقيت الصلاة هي لحظات كونية من الأزل إلى

الميعاد... رحلة كونية نحن فيها نسجد ونقترب.

انظر لمآذن جامع السلطان أحمد والسليمانية بإسطنبول في صعودها المستمر ومعراجها الصامت... إن فكرة الصعود دائمًا كانت تشغل أرواح المسلمين؛ الصعود إلى اللامتناهي، إلى الأعالي... وهذا لا يأتي إلا بارتقاء الروح وعلوها.

وفنيًّا وبالنظر إلى مراحل تنوع أشكال المآذن، أشعر دائمًا أن الطراز العثماني وهو أحدث تلك الطرز التاريخية، أكثرها نضجًا وبساطة. فبينما ينتقد البعض المآذن العثمانية الطراز مقارنة بالمآذن الأخرى، مرددين: إنها أبسط في شكلها، ولا تحتوي على التفاصيل العديدة، والثراء الذي تحمله المآذن المملوكية مثلاً؛ أنا أرى العكس... لأن بساطة المآذن العثمانية هو ميزتها وتفردها على مآذن العصور السابقة لها... فهي أقرب إلى بساطة الدين الإسلامي بلا تعقيد واستغراق في التفاصيل... لذلك هي أسهلُ شكلٍ مئذنةٍ يمكن تنفيذه في وقتنا الحاضر.

ولذلك أرى فلسفة تعميم بناء المآذن على الطراز العثماني الذي تنتهي فيه قمم المآذن بمخروط (شبيهه بالقلم الرصاص) مطلوبة للأسباب التالية:

- بساطة تنفيذها وقلة التكلفة ماديًّا (مقارنة بالمآذن المملوكية مثلاً).
- يسهل تنفيذها في أحجام صغيرة مع عدم إخلالها بالشكل الجمالي. فالمآذن المملوكية -على سبيل المثال- لا يصلح تصميمها إلا في المقاسات الكبيرة من المآذن.
- بساطة شكل المآذن العثمانية، وهي أقرب لمفهوم التجريد الإسلامي البسيط، لا تحتاج إلى الكثير من الزخرفة.
- الشكل الأسطواني لبدن المئذنة -وهو الغالب على النمط العثماني- يجعلها لا تعترض التيارات الهوائية، وكأن الهواء ينزلق من عليها ولا يصطدم بها، وبالتالي تكون أكثر ملاءمة وثباتًا. لذلك ترى الكثير منها نحيلة وفارعة في الطول بلا خشية من عوامل الرياح وتيارات الهواء البيئية.
- الشكل المخروطي الذي تنتهي به قمم تلك المآذن الرشيقة العثمانية، أكثر تأكيدًا ووضوحًا لفكرة العروج إلى السماء، والإشارة إلى الواحد. فالأشكال الأخرى من قمم المآذن، مثل الخوذة المتكئة على عنق، لا يتضح ولا ينجلي فيها معنى الإشارة كالشكل المخروطي العثماني البسيط.
- إن المآذن العثمانية الجادة، الواقفة كالحراس الساهرين على حماية دينِ وثقافةِ إمبراطورية، وَرِثت خلافةَ أكبر عقيدة حكمت أركان المعمورة. وبهذا الشكل المثلث أو النهايات الهرمية لتلك المآذن -وهي تصعد إلى السماء- كانت رسائل صامتة بالغة الاحترام والمهابة أيضًا.

إن فكرة الصعود والالتقاء في نقطة إلى أعلى، لهي أكبر معنى إسلامي شكلي يمكن أن يجسده الفن. فالمآذن مثل السارية أو العلم، فهي إشهار للبناء وتمييز له حتى ولو لم تُستخدَم للتأذين في العصر الحالي، مع وجود مكبرات الصوت. ■

(*) عضو نقابة الفنانين التشكيليين / مصر.

د. أحمد مختار مكي*

شهماً في المحبة فلتكنْ... دينَك أحِبَّه واحفظه، وعِرْضَك فصُنْه، ووطنَك فادفع عنه، وفي أمتِك مُتْ... وغيوراً عليها فكنْ... وأما المحرومون من هذه المشاعر، فهم في الأسفلين من قاع الأمة مدفونون، وبموتهم قانعون.

(الموازين)

* * *

القصة وغرس القيم

إن القصة وسيلة من الوسائل التربوية لإعداد النشء، بل تعد من أقدم هذه الوسائل. ولقد استُخدِمت القصة في التربية على مر العصور الإنسانية. واستقر رأي رجال التربية وعلماء النفس على أن الأسلوب القصصي، هو أفضل وسيلة نقدم عن طريقها ما

نريد تقديمه للأطفال، سواء أكان قيمًا دينية أم أخلاقية أم توجيهات سلوكية أو اجتماعية. وتحتل القصة المرتبة الأولى في أدب الأطفال. ولقد أثبتت معظم الدراسات أن القصة هي الأكثر انتشارًا بين الأطفال وأن لها القدرة على جذب انتباههم؛ فهم يقرؤونها أو يستمعون إليها بشغف، ويتابعون أحداثها بمتعة وتركيز وانفعال، وينخرطون مع أبطالها ويتعاطفون معهم، ويبقى أثرها في نفوسهم لفترة طويلة.

والقصة من الفنون الأدبية التي عرفها الإنسان منذ القدم. فلقد كان الإنسان الأول يعيش في عالم كله ألغاز، وكان عقله قاصرًا عن تفسير مظاهر الطبيعة، كالجبال والرياح والشمس والبراكين، ولذلك وقف أمامها وقفة الحائر الخائف، ثم اهتدى بعد ذلك إلى حلٍّ قنع به واطمأن إليه، فمنح الجماد روحًا كروحه، وتخيله يعيش كما يعيش، وفي سبيل ذلك أنشأ الأساطير، وما الأسطورة سوى القصة الخرافية.

وعلاقة الطفل المسلم بالقصة ليست حديثة، فالتراث الإسلامي يمتلئ بالكثير من القصص التي تصلح أن تروى للأطفال، كما أن الجدّات في كل زمان عندما يحاولن تسلية الأحفاد والترفيه عنهم، يقصصن عليهم قصصًا سواء أكانت خيالية أم واقعية، حتى صار يطلق على الجَدّة "الجَدّة الحكاءة". ولكن ما موقف الإسلام من استخدام القصة في تربية الأطفال؟ وهل تصلح القصة لتربية الطفل المسلم؟

إن الإسلام لم يهمل القصة كوسيلة تربوية، وقد أدرك المسلمون ما للقصة من تأثير ساحر على القلوب، فاستغلوها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم، واستخدموا كل أنواع القصص؛ القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها، والقصة الواقعية التي تعرض نموذجًا لحالة بشرية، فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج.

والقصة التمثيلية التي لا تحمل واقعة بذاتها؛ ولكنها يمكن أن تقع في أي لحظة من اللحظات وفي أي عصر من العصور. وحيث إنه عن طريق القصة يمكن غرس الفضائل والقيم والمثل العليا والسلوك القويم في عقول الأطفال ونفوسهم، فإن القصة تصبح أداة صالحة لتربية الطفل المسلم. ولكن من أين نستقي القصص للأطفال؟

ينبغي ألا يلجأ كتّاب الأطفال إلى النماذج الغريبة عنا، المتنافرة مع ثقافتنا وقيمنا، إنما يجب أن يتخذوا نماذجهم من النماذج الإسلامية. وإن في قصص القرآن الكريم مادة ثرية للأطفال يمكن أن تروى لهم بصورة مبسطة. وكذلك في السيرة النبوية ومواقف الصحابة، والخلفاء، والرحالة المسلمين ما يغني الكتّاب عن استيراد أفكارهم من "والت ديزني" وغيره من تجار أدب الأطفال في العالم. ولو نظرنا نظرة متفحصة لقصص القرآن، لوجدنا فيها ما يحقق أهداف التربية الإسلامية بجوانبها الروحية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية... إلخ. وتتميز القصة القرآنية عن سواها بثبوت الوقائع المسرودة، وعظمة الأداء المعجز، والأسلوب الذي لا يباري، كما تتميز بإقرار النتيجة أو العبرة صراحة. كما أن في سيرة الرسول ﷺ ما يكفي لتحقيق الغايات التربوية المنشودة لتربية الطفل المسلم.

وأستطيع أن أشير إلى بعض الأمثلة والاستنتاجات التربوية للقصص الديني في تربية الطفل المسلم على سبيل المثال لا الحصر:

- إذا كانت التربية تهدف إلى إكساب الطفل قيمة الأمانة، فإن في قصة تجارة الرسول ﷺ في أموال السيدة خديجة رضي الله عنها لعبرة وعظة.
- إذا كانت التربية تهدف إلى إكساب الطفل قيمة العفو والتسامح، فإن في موقف الرسول ﷺ من أهل مكة يوم الفتح، مادة ثرية تصلح لغرس هذه القيمة في نفوس الأطفال.
- إذا كانت التربية تهدف إلى تربية الطفل على حب العمل، فإن في قصة سفينة نوح عليه السلام مادة تصلح لغرس قيمة العمل في نفوس الأطفال.
- إذا كانت التربية تهدف إلى تربية الطفل على التفكير العلمي وإعمال العقل، فإن في قصة إبراهيم عليه السلام ما يكسب الطفل هذه السمة.

ما أشرنا إليه، مجرد أمثلة، والمتوفر من مادة تصلح لقصص لتربية الطفل المسلم في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وحياة الصحابة، وقصص البطولات الحربية للقادة المسلمين الكثير والكثير. ■

(*) أستاذ مساعد في كلية التربية، بجامعة تعز / اليمن.

د. جاسم سلطان*

الوعي الحضاري والانتقال إلى الفاعلية

مشروع الوعي الحضاري والانتقال إلى الفاعلية، والتمكين والشهود، أخذ مسارًا طويلاً من التحليل، ولكنه فيما نرى، لم يأخذ حظه في مسار التنزيل... الانتقال من سؤال لماذا لسؤال كيف؟ أو أنه عندما انتقل لسؤال "كيف؟" في أغلب أحواله، أخذ مسارًا متجهًا لفكرة محورية هي "السلطة" باعتبار أن تحقيق التقدم المنشود في الدولة المعاصرة، لا يتم إلا عبر بوابة تبنّي الدولة لمشروع التقدم. وهذا بدوره أخذ طابعًا مطلبيًّا مستمرًّا للدولة المعاصرة بأن تقوم بدورها، أو طابعًا لافتكاك الدولة من أيدي شريحة معينه وتحويله لفئة أخرى.

هكذا مضت فترات الخمسينيات والستينيات والسبعينيات وإلى يومنا، ولم تثمر بعدُ نتيجة مرضية. ولنا أن ننظر للأحلام الثورية في بعض أصقاع الوطن العربي، لنرى أن هناك مشكلة تتجاوز السلطة، مشكلة تتعلق بالوعي، سواء عند من نجحوا أو أخفقوا في الحصول على السلطة. بمعنىً آخر، إن الوعي المكافئ لإنشاء كيان سياسي واجتماعي قادر على اللحاق بالعصر، يتعدى فكرة السلطة بشكل واضح، ويصل لعمق حضاري دفين، عمق فكري أعمق من مجال القوة المادية لمجال القوة الروحية والفكرية، يتعدى فكر النخبة -وهنا مربط الفرس- لآلية تجعل الحساسية الجماهيرية متقبلة لفكر

النخبة، وهو الأمر الذي يعيد طرح السؤال في صيغته العملية:

كيف نوجد الوعي الحضاري الذي يشمل النخبة والحساسية الجماهيرية، والذي يحرر فاعلية المجتمع وينقله للتمكين والشهود الحضاري؟

نقطة تفكُّر

كان مشهد المطالبين بالحرية والعدالة في أحد الشوارع ملفتًا للنظر، وهو منظر بدا مألوفًا في هذا العصر في وسائل الإعلام... فهناك هتافات وشعارات تطالب بالخبز للجماهير، تطالب بالتعليم والصحة للجميع، وحول هؤلاء يلتف شرطة الشغب متأهبين للانقضاض عليهم عند أول إشارة، وهو منظر مألوف أيضًا من كثرة تكراره... ولكن على أطراف المشهد كانت تمر جموع من الناس تنظر للمشهد وتبتسم، أو تمارس هوايتها في التصوير، أو تمر غير عابئة بكل هذا الصخب. شيء ما هناك، أعاد لذاكرتي مشاهد أخرى التقت فيها الحساسية الجماهيرية بالمطالب الكبرى للنخب، أو التقت فيها حركة النخب بالمطالب الكبرى للشعوب، أو حتى حركة النخبة السياسية مترجمة لمطالب الشعوب وأحلامها كما في ماليزيا أو تركيا في عصرنا. شيء ما في المشهد الذي بدأنا به غير طبيعي... لا يكفي فيه أن يقال إن الجماهير مطحونة بحركة الحياة ولا وقت عندها للنظر في أحوالها. فهناك شعوب مطحونة بأكثر من ذلك التفتت لأحوالها وطالبت بتغييرها. ويحضرني كتاب قرأته في الصغر وهو "البؤساء" الذي صور أحوال فرنسا في ما قبل الثورة الفرنسية، فالبؤساء هم أصل الثورات والتحولات، ولابد أن نبحث عن حلقة مفقودة في معادلتنا أعمق من ما هو منظور، حلقة مكتوبة بالحبر السري عصية على القراءة للوهلة الأولى.

لماذا لا تطبع الطابعة؟

لو كان الموضوع قابلاً للتشبيه، لقلت إن الجماهير هي الطابعة والنخب هي الكمبيوتر... شيء ما لم يسمح بأن تستجيب الطابعة لما يكتب على لوحة مفاتيح الكمبيوتر... شيء ما لم يؤهل الطابعة للتعرف على ما يكتب على لوحة المفاتيح.

هل نطرح هنا موضوع الوعي الحضاري، وما هو مضمونه؟ ومن هي الشرائح التي تحتاجه؟ وكيف يصل إليها؟

ما هي الآلية التي يمكن بها أن تسود فكرة حية في مجتمع ما، بشكل يسمح لها أن تساهم في حدوث تحولات حقيقية؟

مضمون الوعي الحضاري

لقد قلنا إن الوعي الحضاري هو وعي يكفي لإطلاق الفاعلية الحضارية في مجتمع ما، هو وعي بالذات ووعي بالآخر المنافس، ووعي بمتطلبات التقدم في طريق الفوز بأقل التكاليف وفي أقصر وقت. إنه باختصار قدرة على اتخاذ القرار المناسب في إطار التدافع الإنساني، قرار يسمح بتحقيق الفوز بالنقاط بدل الضربة القاضية.

بهذا المعنى يصبح أمامنا رؤية للمضمون تتكون من معرفة الذات. والذات تتشكل من صورة عن الذات الحضارية "والمتكونة عبر التاريخ"، وصورة لأسباب التخلف وبنيته وجذوره، وصورة عن المستقبل المنشود، وصورة عن الطريق للعبور له، وصورة عن الواقع المحيط بالتدافع في صورة السياسة المحلية والدولية، وصورة للاقتصاد ودوره في صناعة الأمم، وصورة للدين كرافعة للتقدم أو ككابح للتقدم، ثم صورة عن أفضل الممارسات الإدارية لهذا الواقع وأدوات التعامل معه. بهذا تتكون قاعدة سوية أولية للتعامل مع الواقع وإدارته في اتجاه صناعة الحضارة، وعلى هذه الأسس يتكون المضمون.

الشرائح الثلاث

عندما ننظر للواقع، سنجد أنه مكون من شرائح ثلاث متفاوتة الحجم والدور، فأمامنا شريحة الساسة وأهل الفكر وهي شريحة تصنع القرار والفكر. وأمامنا شريحة وسيطة في غاية الأهمية، وهي شريحة الفنانين والأدباء والمسرحيين والسينمائيين والوعاظ. والشريحة الثالثة هي عموم الجمهور. فشريحة تصنع القرار وتصنع الفكرة، وشريحة تبسطها وتنقلها للقاعدة العريضة، وشريحة تستقبل هذه القرارات والأفكار وتتفاعل معها. وصناعة التقدم نحو الحضارة تحتاج لتفاعل الشرائح الثلاث، فالحاسوب في هذه الشرائح هو الشريحة الأولى وإنها النخب، والطابعة هي الجمهور الذي يتفاعل مع ما تكتبه الطابعة، والوسيط بينهما هي الشريحة الثانية التي تقوم بوصل حلقة النخب بالجمهور، وهي التي تحول الفكرة المستعلية لحديث في المقهى والشارع وتوصله للبيت والمدرسة.

إطلاق الفاعلية

والآن، كيف يمكن أن نبدأ من نقطة لا نحتاج فيها لقرار علوي

بالفعل، نقطة يمكن أن تنطلق من ممكناتنا كمجتمعات. وماذا تحتاج المجتمعات لإطلاق ممكناتها؟ يشير حديث الرسول ﷺ أن الكتلة النوعية البشرية لا تزيد عن ١٪ لحدوث التحولات الكبرى فيها: "إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة" (متفق عليه). وفي مشروع الوعي الحضاري نحتاج أن نصل لهذه الكتلة البشرية النوعية، وتحميلها بمشروع الوعي الحضاري وعيًا يطلق طاقات هذه الكتلة البشرية لتعمل على تكوين مؤسسات الانطلاق وتملأ الفراغات، فمنها تتغذى شريحة المفكرين والنخبة السياسية، ومنها تولد شبكة الفنانين والأدباء والكتاب والمسرحيين والوعاظ، ومنها تبدأ معالجة الملفات الكبرى، جيل جديد قادر على أن يغذي مفاصل الفعل، ويصل الفكرة بالجماهير، وبالتالي يمكّن الطابعة من الاستجابة لما يكتب على الكمبيوتر. فالتحول من نداء الموتى، أو طلب المعجزة، أو مناداة الثالث الغائب لتحديد محتوى الوعي الحضاري المطلوب، وتحديد آليات نقل الوعي ومؤشرات قياس التأثير، وتحديد الزمن اللازم لإنجاز مشروع "نقطة التحول"، سيكون نقطة تحول كبرى. كل ذلك من الممكنات في ظل التطورات التقنية المعاصرة، ولو تضافرت الجهود للقيام بهذا الأمر، لأمكننا أن نَعبُر الحاجز بين النظرية والتطبيق. وهذه هي النقطة الأولى في حركة المشروع التي يمكن أن تجعل أحلام الأمة بالتمكين والشهود الحضاري ممكنة.

إن التحرك لإيجاد نقطة انطلاق حقيقية لمشروع الوعي الحضاري، يكتسب أهمية قصوى اليوم للخروج من دائرة الشلل التحليلي والانطلاق لفضاء الممكنات العملية.

مفاهيم ضرورية لمن يتلقى المشروع (فسيلة وتمرة وثوب تلك هي القصة).

عندما نقول إن طريق التراكم يظل مفتوحًا لو أغلق طريق الاحتشاد، وإن طريق التراكم في المنطقة العربية، هو الطريق المتاح اليوم بالنسبة للقوى الفاعلة في المجتمع، لمختلف الأعمار السِّنّية، ولمختلف أنواع الطاقات... فنحن -ببساطة- ندعو لتحرير ممكنات الفرد وإعادته لدائرة الفعل. ونعتقد أن طريق التراكم سيتقاطع معه يومًا ليس ببعيد طريقُ الاحتشاد. فكلما زادت الخيرية في المجتمع كلما كان نهر الحياة من الأفكار والعلاقات والمشاريع أشد فاعلية. ولا يبعد كثيرًا أن يلتقط الخيط مَن بيده القرار، ليحوّل أحلام أمته لوقائع.

ولتفعيل طريق التراكم، يلزم استحضار مفهوم المساهمة. والمساهمة تعتمد في ما يقع تحت دائرة فعل الإنسان الفرد أو المؤسسة وممكناتها. وحينها يسأل الإنسان عن الجدوى. ماذا يعني التقاط ورقة من الطريق في ظل وضع يسمح بإلقاء أكوام من القمامة كل يوم في الطرقات. هنا يُسحَق الفردُ أمام المشهد الكبير الضاغط، ويدخل مرحلة اللامبالاة. فليفعل كما يفعل غيره "وحشر مع الناس عيد" كما هو المثل الدارج. لكن ماذا يضيف لنا الإسلام من معانٍ لعلاج هذه الحالة المستشرية؟ إنه يقدّم لنا "فسيلة وتمرة وثوب"... لست أمزح.

فمهموم الفسيلة جوهري في الفعل النهضوي، "لو كانت بيد أحدكم فسيلة وقامت القيامة فليغرسها". إنها تعرض علينا الحد الأقصى من اليأس في النتائج، وتدعو للفعل في الأوضاع التي ليس بعدها عمل... في وضعٍ قد قرب أن تطوى فيه صفحاتُ الإنسان، ولكن فسيلته الأخيرة التي زرعها قد تكون مرجح نجاته يوم القيامة فتأمل.

ومفهوم التمرة مفهوم محوري في طريق النهضة (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تَصدَّقَ بِشقّ تمرة) فالسيدة التي كانت تلقط الحصى من مسجد الرسول، وهي تلقط الدر من تراب الجنة عمل صغير من المداومة عليه مع النية الصالحة يمكن أن يكون نصيبك من إطلاق مشروع الأمة الناهضة فتنبه.

ومفهوم الثوب؛ "لقد كان حَلُّ الرسول ﷺ لأهل مكة لرفع الحجر الأسود، أن يُمسِك كل منهم بطرف من الثوب فيُرفَعَ الحجرُ ويُوضَع في مكانه". هكذا يرتفع حجر النهضة ويعلو بناؤها. فليرفع كل فرد من زاويته طرفًا من الثوب... ليقدّم كل شخص جهده -وإن قل- ولا يقفْ مكتوف الأيدي.

إن المهمة الكبيرة حين يريد الشخص أن يقوم بها كلها أو لا يقوم بشيء منها، يقع في معادلة العجز. فالمهام الكبيرة كنهضة أمة -وهي موضوعنا- غير قابلة للتحقق بفعل شخص واحد ولو كان حاكمًا. فإن كان ما يقابل القيام بها كاملة هو عدم القيام بأي شيء فهو العجز بعينه. والفيل لا يمكن أكله قطعة واحدة. ■

(*) خبير في التخطيط الإستراتيجي والإدارة الإستراتيجية / قطر.

أ.د. أحمد عبادي*

المسلمون وحقوق الإنسان-٢

قراءة في المستلزمات المعرفية

صناعة الإنسان في الإسلام تتغيّا إخراج إنسان متحرر، ليس في ضميره أو جسده فحسب، وإنما متحرر أيضًا في رأيه، وفي أسلوب تعبيره عنه. فالإنسان في الإسلام يُتغيّا أن يكون متحررًا من سلطان العباد[1]. وإن جوهر الاستخلاف والأمانة هو القدرة على أداء الواجبات، وانتزاع التمتع بالحقوق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(النساء:٩٧).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾(النساء:٧٥).

وقد استنبط الإمام مالك من هذه الآية أن براءة الذمة بخصوص المستضعفين، معقودة بالنصر بالبدن إن كان العدد يحتمل، وإلا فلا سبيل إلا ببذل جميع الأموال[2].

وقال تعالى لومًا للذين ينشّئون بناتهم تنشئة تعجزهن عن المطالبة بحقوقهن، وبعد ذلك تظل وجوههم مسودة وهم كظيمون إذا بشروا بالأنثى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾(الزخرف:١٧-١٨).

ويمكن رصد عدد من المركبات التشريعية المشَكِّلة لصرح مقصد ضمان حقوق الإنسان:

أ- الحفظ

ونقصد به حفظ الحقوق والمصالح الضرورية التي بها تتحصل السعادة في العاجل والآجل. وهذا الحفظ يكون بأحد أمرين: الأول من جانب الوجود؛ وذلك بما يقيم أركانها ويثبت قواعدها. والآخر من جانب العدم؛ وذلك بما يدرأ الخلل الواقع أو المتوقع فيها.

١- حفظ الدين: وذلك من خلال:

• التشريع وتوفير أماكن العبادة المرعية، وتنظيم المساجد والقيمين عليها، وتنظيم الزكاة والصيام والحج، وتنظيم الوقف وحمايته.

• التربية السليمة والممنهجة.

• حماية وتيسير وتوطين القيم المعنوية والروحية للدين.

• حرية التدين وعدم الإكراه.

• تقنين وهيكلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بتجلية شروطه وموانعه، ومناهجه وعقوباته، وزجر من يترامون بغير حق ولا مستحق للقيام به.

• التشجيع على الاجتهاد الكفء.

٢- حفظ النفس: وذلك عبر:

• ضمان الحق في الحياة.

• احترام التشريعات المحرِّمة للقتل والأذى.

• الحماية من العدوان، وهو ما يظهر جليا في حد الحرابة.

• الحماية من التعذيب، والحماية من الإخافة والترويع[٣].

• حماية البيئة (مناخيا ونباتيا وحيوانيا)،

• ضمان حق العيش، والصحة، والحركة، والتنقل مع الحماية من الاتجار بالبشر.

• الاستثمار في الأمن العام والدفاع الوطني، وأمن الدولة[٤].

٣- حفظ العرض: وذلك من خلال حفظ قسميه:

أ. الكرامة، عبر تحريم القذف والرمي.

• رعاية وحماية كرامة وسمعة الإنسان الفرد والمجتمع، بالتنشئة على الكرامة، وزرع قيم عدم الاعتداء عليها.

• حماية الحق في الخصوصية وعدم الاجتراء عليها وإن قامت حولها شكوك (مثال عمر حين اقتحم على من بلغه أنه يشرب الخمر فزُجِر وقبِل الزجر وانصرف)[٥].

• الحيلولة دون الاستعمال غير المشروع للسلطة، للمساس بكرامة الفرد أو الأسرة أو الجماعة أو المنظمة.

ب. النسل والأسرة، عبر ضمان أن يكون التناسل في إطار الزواج، حيث المسؤولية، وحفظ الأنساب، وإمكان تلقي الرعاية والدعم المنظمين والمنضبطين من الدولة، وكافة الجهات المختصة؛

• حماية الأسرة ورعايتها وتوفير حاجياتها الأساسية، غذائيًا، وإيوائيًا، وصحيًا، وتربويًا، وقيميًا.

• رعاية الطفولة والنشء (أيتام، ذوي الاحتياجات الخاصة).

• رعاية الشيخوخة.

• الحرص على توطين المساواة بين الرجال والنساء، حتى يضطلع كلٌّ بمسؤوليته لحفظ الأسرة وتنميتها.

ج. حفظ العقل:

• تحريم الشرك، والخرافة، والسحر، والطيرة، والمخدرات، والمسكرات، والمفترات التي تؤدي إلى مختلف أضرب الإدمان الضارة بالعقل وبالفرد وبالمجتمع.

• إشاعة الموضوعية في التمثل والتفكير، وإشاعة رؤية علمية موضوعية للذات والموضوع والعالم، وذلك من خلال السهر على أن تضطلع نظم التربية والتكوين الإلزامية في المدرسة والتطوعية في المسجد والإعلام ووسائل الاتصال بذلك دون السقوط في التقنين الدولاني الحاد من الحريات المشروعة.

• إشاعة العلوم والمنتوجات الثقافية المغذية للعقل.

• ضمان الحقوق الثقافية واللغوية والكَلغْرافية.

• تشجيع وحماية البحث العلمي والتكنولوجي.

• ضمان الولوج إلى المعلومة.

• السعي إلى بناء مجتمع المعرفة.

• ضمان وحماية حرية التعبير، في حماية للفرد والمجتمع من الظلم بهذا الصدد، من القذف والرمي غير المشروعين، مما تكون له آثار على ضياع مصالح الفرد والجماعة مادية

كانت هذه المظالم أم معنوية[٦].

د. حفظ المال:

• تحريم السرقة.

• حماية الملكية العامة والملكية الخاصة (مادية كانت أم فكرية أم اختراعية أم تجارية أم صناعية أم مهنية).

• سلامة واستقرار التبادل التجاري.

• حماية المستهلك من أن ينفق ماله فيما يضره أو يضر غيره.

• حماية حقوق العمال (أجورًا وحسن معاملة) سواء كانوا أبناء البلد أو من الوافدين.

• منع الربح غير المشروع، ومنع الاستغلال بسائر أنواعه وأشكاله (ربا، ميسر، رشوة...).

• إشراف الدولة على التنمية المستدامة اقتصاديًا وبشريًا.

• حماية السوق من المضاربات التي تؤدي إلى غلاء الأثمان غير المشروع.

هذه هي المصالح الكلية التي جاءت الشريعة الإسلامية لتأمينها بأن نصّت على كل منها، وبينت أهميتها، وخطورتها ومكانتها، في تحقيق السعادة للإنسان، ثم كلّفت بالأحكام الوظيفية لضمان تحقيقها.

ويدل الاستقراء والبحث والدراسة والتأمل على أن الشرع الحنيف جاء لتحقيق مصالح الناس الضرورية والحاجية والتحسينية، وأن الأحكام الشرعية كلها إنما شرعت لتحقيق هذه المصالح.

ومعلوم أن ضمان الحقوق للإنسان، من أعظم الأمور التي تحصل بها سعادته[٧].

صناعة الإنسان في الإسلام تتغيّا إخراج إنسان متحرر، ليس في ضميره أو جسده فحسب، وإنما متحرر أيضًا في رأيه، وفي أسلوب تعبيره عنه. فالإنسان في الإسلام يُتغيّا أن يكون متحررًا من سلطان العباد. وإن جوهر الاستخلاف والأمانة هو القدرة على أداء الواجبات، وانتزاع التمتع بالحقوق.

ب- العدالة

١. العدالة في التوزيع: (مفهوم القَسْم) بين المسلمين، ومثال أراضي سواد العراق الرائع، حيث لم يوزعها عمر بن الخطاب ﷺ بين الفاتحين، وإنما وزعها على أهل العراق.

٢. العدالة الكونية: حلف الفضول "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت"[٨]. ويدخل في هذا: الوفاء بالعهود (الآليات والالتزامات والعقود بعد المصادقة عليها) ومنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

٣. العدالة التصحيحية: والأصل فيها قوله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۞ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾(الأنبياء:٧٨-٧٩)، حيث تروي كتب التفسير مراجعة سليمان عليه السلام لأبيه نبي الله داوود عليه السلام في الحكم، مما يعد نواة مقدرة للعدالة التصحيحية.

قال ﷺ: "إنما أنا بشر، إنما أنا أقضي بينكم بما أسمع منكم، ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من أخيه فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا، فإنما أقطع له قطعة من النار"[٩].

ويدلُّ على رجوع القاضي عن حُكمه في هذه الحالات، ما ورد في كتاب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري ﷺ حيث قال فيه: "ولا يمنعك قضاءٌ قضيتَ فيه اليوم فراجعتَ فيه رأيك، فهُديت فيه لرشدك، أن تُراجع فيه الحق، فإنَّ الحق قديم لا يُبطله شيء، ومراجعة الحق خيرٌ من التمادي في الباطل"[١٠]

٤- العدالة السياسية: ومن ركائزها مبدأ الشورى لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(آل عمران:١٥٩)، وقوله سبحانه: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾(الشورى:٣٨)، ومبدأ شفافية الحكامة Tranparency of governance، ومبدأ فصل السلط، وكل ذلك مؤطر بضرورة رعاية مصالح الناس، وهو ما أشار إليه علماء الأصول بقولهم: "تصرف الإمام على الرأي منوط بالمصلحة"[١١].

جـ- المساواة تحت القانون

ومما يشهد لهذا المحدد آية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(التوبة:٧١).

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(النحل:٩٧)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا﴾(النساء:١)[١٢].

د- الحسبة العامة والخاصة[١٣]

ونجد للحسبة أصلاً في الآية: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾(النساء:١١٤)، وفي الآية: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾(الحجرات:٩).

ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾(الرعد:٢٢).

ولا تقتصر هذه الفعالية على الفرد، وإنما تتعدى إلى الجماعة والدولة. فإذا كان الأمر بالمعروف واجب على الفرد المسلم، فإنه واجب على الجماعة، حيث يتعاون عليه الأفراد في الجماعات ويتشاورون فيه لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(آل عمران:١٠٤)، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(المائدة:٢).

وهذا واجب على كل مسلم قادر، وهو فرض على الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره. وفي تسمية علماء الأصول -خصوصًا الأوائل- لها بالفروض الكفائية، إيحاء، بأن القيام بها من لدن القادرين، ينبغي أن يكون كافيًا للأمة، وإلا فإنها لا تسقط، ويبقى الإثم عالقًا بعموم الأمة.

إلا أن غير القادرين، لا يبقون -بخصوص الفروض الكفائية- بدون مسؤولية، فالشرع يُرتّب عليهم مسؤولية السعي، لإقامة القادرين[١٤].

هـ- لا ضرر ولا ضرار[١٥]

ونفيُ الضرر ورفعه، مقصد عليّ من مقاصد الشريعة الإسلامية. فلا يقبل كل فعل فيه ضرر على الفرد أو المجتمع في الحال والمآل. وهو ما يتساوق تمامًا مع مبدأ التيسير ورفع المشقة الذي يعد بدوره مقصدا أساسًا من مقاصد التشريع في الإسلام: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(البقرة:١٨٥).

و- تحريم الظلم

إن النصوص التي تحث المسلمين على تحريم الظلم، والسعي إلى ضمان حقوقهم وترغّب في ذلك، أكثر من أن تُحصى[١٦] في هذا المقام... والمتعامل معها، يلاحظ، أن في الإسلام نظامًا كاملاً، لإقامة العلاقات الاجتماعية بين الناس، على وجه يُبعِدُ كلَّ الأدواء التي تَنْخر كِيَان المجتمعات عن المجتمع الإسلامي... وهو نظام حري بأن يُبحث فيه وتُوَضَّح معالمُه، في دراسة جادة موضوعية مستقلة.

وبذلك فإن هذا المقصد، تحريم الظلم، يمكن أن يعتبر من المقاصد المركزية في الشريعة الإسلامية. ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(الكهف:٤٩)، ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(آل عمران:٥٧)، وفي الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّمًا فلا تظالموا"[١٧].

وهو ما تجلى في سنة رسول الله ﷺ التي تزخر بحرصه عليه الصلاة والسلام على إيفاء أهل الحقوق أفرادًا وجماعات حقوقهم[١٨]. ■

(*) الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء / المغرب.

الهوامش

(١) قال ربعي بن عامر تعبيرًا عن المقصد الكلي للإسلام في جوابه لرستم بعد أن سأله: "لم جئتم؟" قال ﷺ: "ابتُعِثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده"، ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر، ط١٩٧٩م، ٢٣/٣ فما بعدها، أحداث سنة ١٤ هجرية.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي، ٤٠٩/١-٤٦٠.

(٣) قال ﷺ: "ليس منا من روّع مسلمًا". (أخرجه البيهقي)

(٤) وهنا يشار إلى مفهوم الإعداد المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ﴾(الأنفال:٦٠). فالسلم في الإسلام ليس مقصده الأصل هو القتال، وإنما الإرهاب للعدو قصد ثنيه عن الانخراط فيما يوجب مواجهته، مما قد يؤدي إلى إهراق الدماء وإزهاق الأرواح. والاستطاعة، المراد بها تلك المنضبطة بالموازنة بين الحاجات وعدم تجاوزها بالإنفاق على السلاح وتجويع الناس مثلاً.

(٥) عن عبد الرحمن بن عوف، أنه حرَسَ مع عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنهما ليلةً بالمدينة، فبينما هُمْ يمشون شَبَّ لهم سِراجٌ في بيتٍ، فانطلقوا يَؤُمُّونه حتى إذا دَنَوْا منه إذا بابٌ مُجافٌ على قومٍ لهم فيه أصواتٌ مُرتفعةٌ ولَغَطٌ، فقال عمرُ ﷺ وأخذ بيَد عبد الرحمن، فقال: أَتَدْري بيتَ مَن هذا؟ قلت: لا، قال: هذا بيت ربيعةَ بنِ أُمَيةَ بنِ خَلَفٍ، وهُمُ الآن شُرَّبٌ، فما تَرى؟ قال عبدُ الرحمن: أَرَى قد أتينا ما نهى الله عنه: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾(الحجرات:١٢)، فقدْ تجسّسنا، فانصرَفَ عنهم عمرُ ﷺ وتركهم"، السنن الكبرى، للبيهقي (٥٧٩/٨) (١٧٦٢٥).

(٦) علمًا بأن كل ما سلف أعلاه من مفردات، عليها شواهد تفصيلية في القرآن والسنة وكسب الصحابة والتابعين وأعلام الأمة في مختلف أجيالها، لا يتسع المقام لاستقرائها.

[٧] ومنهج التشريع الإسلامي لرعاية هذه المصالح يسلك طريقين أساسين: الأول: تشريع الأحكام التي تؤمّن تكوين هذه المصالح وتوفر وجودها. الثاني: تشريع الأحكام التي تحفظ هذه المصالح وترعاها وتصونها، وتمنع الاعتداء عليها أو الإخلال بها، وتؤمّن الضمان والتعويض عنها عند إتلافها أو الاعتداء عليها، وبذلك تصان حقوق الإنسان وتحفظ، عن طريق إقرارها بما يلزم. الموافقات ٥/٢.

[٨] أخرجه البيهقي في سننه ٢٦٧/٦، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١٢٨/١-١٢٩.

[٩] أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب من قضي له بحق أخيه فلا يأخذه فإن قضاء الحاكم لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالاً، رقم ٦٧٥٩.

[١٠] ومما يشهد له ما رواه الإمام البيهقي: أن النبي ﷺ لما أراد أن يبعث معاذًا إلى اليمن قال: "كيف تقضي إن عرض لكَ قضاء؟" قال: أقضي بكتاب الله، قال: "فإنْ لم تجد في كتاب الله؟" قال: فبسُنَّة رسول الله، قال: "فإنْ لم تجدْ في سُنَّة رسول الله ولا في كتاب الله؟" قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: "الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يُرْضي رسولَ الله"، أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى"، (ج١٠، ص:١٥٠)، والدارقطني في سننه، (ج٤، ص:٢٠٦)، و"إعلام الموقعين"، (ج١، ص:٩٢)، و"أخبار القضاة"، (ج١، ص:٧٢).

وما رواه عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإن حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر". أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الاعتصام)، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب وأخطأ (ج٨، ص:١٥٧)، ومسلم في صحيحه (كتاب الأقضية)، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (ج٢، ص:٥٦).

وكتب الفقه طافحة بذِكْر الأمثلة على ذلك من فعْل الصحابة ﷺ ومنهم حُكم عمر بن الخطاب ﷺ في المشرَّكة، حيث حكم بإسقاط الإخوة الأشقاء ثمَّ شرَّك بينهم وبين الإخوة لأمٍّ في قضية أخرى رُفعتْ إليه، ولم ينقض حكمه الأول، وإنما قال: "تلك على ما قضيْنا، وهذه على ما نقضي"، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (كتاب الفرائض)، باب المشرّكة (ج٦، ص:٢٥٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (كتاب الفرائض) (ج١٠، ص:٢٤٩-٢٥٠)، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "فأخذ أميرُ المؤمنين في كلاَ الاجتهادَين بما ظهر له أنَّه الحق، ولم يمنعه القضاء الأوَّل من الرجوع إلى الثاني، ولم ينقض الأول بالثاني، فجَرَى أئمة الإسلام بعده على هذين الأصلين"، إعلام الموقعين ١١١/١.

[١١] القاعدة نص عليها الشافعي أيضًا، وقد أخرج سعيد بن منصور أصل هذه القاعدة في سننه.

[١٢] ومن صور هذا المبدأ: المساواة في الفُرص، والمساواة في الحقوق والواجبات.

[١٣] ولاية الحسبة من الولايات الشرعية العامة الخاضعة لسلطة الدولة، حيث تجب على الإمام بحكم وظيفته في حفظ الدين على أصوله المستقرة وتنفيذ أحكامه، ورعاية حقوق الناس ومصالحهم. ولذلك كان الخلفاء في العصور الأولى للإسلام، يباشرونها بأنفسهم، ثم أسندوا أمرها إلى والٍ خاص يُعْرَف بالمحتسب، وأُعطي من الصلاحيات و الأعوان بحيث يقوم بها خير قيام، فيمشي في الأسواق والشوارع ويقتحم أبواب المؤسسات العامة والدوائر الحكومية، ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، سواء تعلق ذلك بقيمة من قيم الإسلام معطلة أو بحق من حقوق الناس مهدر.

[١٤] قال الشاطبي: "القيام بهذا الفرض -يقصد الفرض الكفائي- قيام بمصلحة عامة، فهم مطلوبون بسدها على الجملة، فبعضهم هو قادر عليها مباشرة، وذلك من كان أهلاً لها، والباقون، وإن لم يقدروا عليها، قادرون على إقامة القادرين، فمن كان قادرًا على الولاية، فهو مطلوب بإقامتها، ومن لا يقدر عليها، مطلوب بأمر آخر، وهو إقامة ذلك القادر، وإجباره على القيام بها.. فالقادر إذن، مطلوب بإقامة الفرض، وغير القادر، مطلوب بتقديم ذلك القادر، إذ لا يتوصل إلى قيام القادر، إلا بالإقامة، من باب، ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب"، الموافقات ٣٥٣/٨.

[١٥] والأصل في هذه القاعدة وغيرها من قواعد رفع الضرر قوله ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار" (رواه ابن ماجه والدارقطني).

[١٦] منها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(الشورى:٤٠)، ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ﴾(هود:١١٣)، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾(الشعراء:٢٢٧)، وغيرها من الآيات المحذرة من الظلم، والمذكرة بجزاء الظالمين.

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمُه، ولا يُسْلِمه"، رواه البخاري في كتاب المظالم، باب لا يظام الميلم الميلم ولا يسلمه، رقم ٢٤٤٢.

وعن البَراء بن عَازِب ﷺ قال: "أمرنا رسول الله ﷺ بسَبْعٍ، ونَهَانا عن سَبْعٍ، فذكر عيادةَ المريض، واتِّبَاعَ الجنائز، وتَشْمِيت العاطس، وردَّ السلام، ونصر المظلوم، وإجابة الدَّاعي، وإبرار القَسَم"، رواه البخاري في كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، حديث رقم ٢٤٤٥.

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(هود:١٠٢).

وفي الحديث: "اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة" (رواه مسلم). وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لأبي سلمة بن عبد الرحمن، وكان بينه وبين الناس خصومة: يا أبا سلمة اجتنب الأرض، فإن النبي ﷺ قال: "من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين" (رواه البخاري ومسلم). وعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تكونوا إمّعة، تقولون: إنْ أَحْسَنَ الناس أَحْسَنّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وَطِّنُوا أنفسكم، إنْ أَحْسَنَ الناس أن تُحسِنوا، وإن أساءوا فلا تَظلموا" (رواه الترمذي). وأثر عن عبد الرحمن الأوزاعي قولته لأبي جعفر المنصور: أنت راعي الله، والله تعالى فوقك، ومستوف منك، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾(الأنبياء:٤٧).

[١٧] أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (٢٥٧٧).

[١٨] قال ابن حجر العسقلاني في شرحه لحديث"المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا": "نصر المظلوم فرض على الكفاية، وهو عام في المظلومين، وكذا في الناصرين، بناء على أن فرض الكفاية مخاطب به الجميع وهو الراجح" فتح الباري ٩٩/٥.

د. يحيى وزيري*

تأملات معمارية في المسجد الكبير بـ"بورصة"

ركبنا العبّارة من مدينة إسطنبول انطلاقًا إلى مدينة بورصة العريقة عَبْر بحر مرمرة، مع مجموعة من الإخوة الأتراك والمصريين. كان يومًا جميلاً مشمسًا... وكنتُ في شوق لزيارة مدينة بورصة العريقة، ورؤية شوارعها ومبانيها التاريخية، وجبلها الشاهق الأشم.

وبعد تناول الغداء في أحد المطاعم الأنيقة الذي استمتعنا فيه بتناول وجبة شهية من "كباب الإسكندر" كما يطلقون عليه في بورصة، انطلقنا إلى المسجد الكبير (أُوْلُو جامع) والذي يعدّ أول جامع كبير بناه العثمانيون عام ١٣٩٩م، والذي قام بتصميمه المعماري "علي نصار" على مساحة ٣١٦٥ مترًا مربعًا، ويتسع لما يقرب من ٤٥٠٠ مصلّ. ويمتاز هذا المسجد باحتوائه على عشرين قبة مميزة في تفاصيلها، كما يحتوي على ٢١١ نافذة؛ ١٥٢ منها موجودة على قباب المسجد المختلفة. وللمسجد ثلاثة مداخل بالإضافة إلى مدخل خاص كان مخصصًا لدخول السلطان لأداء الصلاة في مقصورة خاصة به.

لماذا عشرون قبة؟

في عام ١٣٩٦م قام ملك المجر وحلفاؤه الأوروبيون بمهاجمة قلعة "نيكوبوليس" (Nicopolis) بجيش كبير، وكانت تلك القلعة تابعة للعثمانيين في ذلك الوقت. وبناء على طلب قائد القلعة قام السلطان العثماني "بايزيد" بتجهيز جيشه،

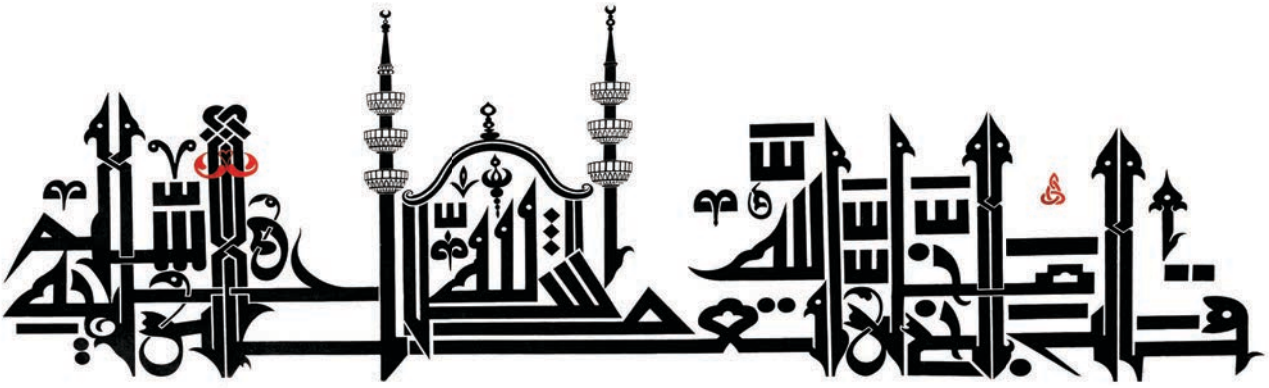

للدفاع عن القلعة وصدّ هجوم ملك المجر وحلفائه. ونذر "بيازيد" في دعائه بعد الصلاة أن يبني ٢٠ مسجدًا إذا وفّقه الله ﷻ لهزيمة أعدائه والانتصار عليهم.

وبعد أن انتصر "بيازيد" في المعركة وعاد إلى مدينة بورصة، اقترح عليه شيخه ومستشاره "أمير سلطان"، أن يبني مسجدًا واحدًا كبيرًا له عشرون قبة يستخدم في صلاة الجمعة، بدلاً من بناء عشرين مسجدًا صغيرًا، وفاءً لنذره. وراقت الفكرة لـ"بيازيد" وقبِلها ثم شرع في بناء هذ الجامع الكبير في بورصة، بحيث أصبحت كل قبة من قبابه وكأنها تكافئ مسجدًا صغيرًا.

الكتابات الخطية بالمسجد

يلفت نظر الزائر فور ولوجه إلى قاعة الصلاة، وجود ١٣٢ لوحة خطية معلقة وثابتة تزين جدران وأعمدة المسجد، وقد بقيت من أصل ١٩٢ لوحة خطية كانت موجودة بالمسجد. ويرجع تاريخ اللوحات المعلقة إلى حوالي ١٥٠ عامًا خلت، واللوحات الثابتة يرجع تاريخها من ١٠٠ إلى ١٥٠ عامًا مضت.

وبذلك يتميز هذا الجامع المهيب بأنه بمثابة متحف أو صالة عرض للخطوط العربية المختلفة، وبخاصة أن تلك اللوحات الخطية، تركز على موضوعات ذات صبغة دينية يأتي على رأسها لفظ الجلالة "الله"، مع بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى جانب بعض الحكم المأثورة.

وعلى حد علمي، فإنه لم يَحْتوِ مسجد في العالم الاسلامي على كل تلك اللوحات الخطية العربية المميزة، والتي أعطت للمسجد رونقًا خاصًا يُدخل السكينة والصفاء على من يرى تلك الكتابات، كما يغذّي الأرواح والنفوس التي تقرأها، إلى جانب المتعة البصرية الناتجة عن تتبع أسلوب الكتابة الفني والزخرفي، والذي يُبرز المعاني الإيمانية العميقة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المختارة.

لقد ركّزت تلك الكتابات على فكرةِ وحدانيةِ المولى ﷻ وهي الغاية الكبرى للإسلام. فنجد على جدار القبلة (الجدار الجنوبي للمسجد) لوحةً معلقة مكتوبٌ عليها "هو الله" تارة من اليمين وتارة أخرى بطريقة معكوسة من اليسار، بحيث تلتقي اللفظتان في منتصف اللوحة عند "هو" الضمير الدال على الذات الإلهية.

وغالبًا ما تم كتابة حرف "الواو" على كل حوائط المسجد، ولكن أجملها وأكثرها تعبيرًا عن وحدانية الله، لوحة خطية ثابتة بجدار القبلة أيضًا يطلق عليها "الواو الخضراء"، وأهم ما يميزها، انتهاء حرف الواو واتصالها بزهرة التيوليب (Tulip). و"التيوليب" أو "اللَّالَة" عند العثمانيين، ترمز إلى وحدانية الله الواحد الأحد.

وعلى نفس الجدار وضعت لوحت معلقة، مرسوم عليها المسجد الحرام تتوسطه الكعبة المشرفة. ويتميز هذا الرسم الثلاثي الأبعاد، بإمكانية رؤية باب الكعبة وقباب المسجد

الحـرام متجهة إلـى الناظر إليها من أيّ زاويـة، وكأنها تدعوه إلى زيارتها كلما وَلّى وجهه شطر تلك اللوحة الرائعة.

أمـا الآيات القرآنيـة الكريمة فلها نصيب الأسـد في تلك الكتابـات. فقـد علقـت لوحة فـوق الباب الموجـود بالجدار الشـرقي لقاعـة الصلاة، مكتـوب عليها قوله تعالـى: "بل هو قـرآنٌ مجيـدٌ فـي لـوحٍ محفـوظ"، وعلـى يمين البـاب لوحة مكتـوب عليهـا قولـه تعالـى: "إن الصلاة تنهى عن الفحشـاء والمنكر ولذكر الله أكبر"، وعلى يسار الباب، الحديث النبوي الشريف: "أكمل المؤمنين إيمانًا أَحْسَنهم خُلُقًا".

ومن نمـاذج اللوحات الثابتة بنفس الجدار السـابق والتي اسـتطاع فيهـا الخطاط التعبيرَ عن روعـة المعاني القرآنية عن طريـق اختلاف مقياس الخط وكذلك حرف "الواو"، ما يَظهر في اللوحة التي احتوت على قوله تعالى: "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنيـن، ولكـن المنافقيـن لا يعلمـون"؛ فالآيـة الكريمة تكـرر فيها حرف "الواو" أربعة مـرات، اختار الخطاط المبدع للأولـى حجمًـا أكبر وهـي التي تسـبق لفظ الجلالـة، ثم بدأ حجـم "الواوات" الأخـرى يتناقص حتى الوصـول إلى الواو الرابعـة وهـي أصغرها وهي التي تسـبق قوله تعالـى: "ولكن المنافقيـن"... فالخطـاط هنـا عبّر عن قدرِ وقيمـةِ كل مذكور في تلك الآية بما يتناسـب معه، فـ"الواو" الكبرى تتناسب مـع الذات الإلهية، والأصغر مـع الرسـول عليه الصلاة والسـلام، فالتي تليها صغرًا مـع المؤمنين، أما "الواو" الصغرى والأخيرة فهي التي تسبق ذكر عدم علم المنافقين. روعة في التعبير عن المعنى العميق الوارد في تلك الآية الكريمة، والتي تمثل عمق الفهـم والتدبـر لتلك المعاني والتعبير عنهـا من خلال الكتابة والخط العربي.

ومـن اللوحـات الخطيـة المدهشـة فـي مبناهـا ومعناها، بالجدار الشـمالي للمسـجد، جـزء من آية قرآنيـة وردت في سـورة الحج وهي قوله تعالى: "من كل فجّ عميق"، حيث تم كتابـة الكلمات الأربـع بحيث ترتبط معًـا وتبدو وكأنها كلمة واحـدة، ترتبط وتتطابق عند الحروف الأخيرة لتلك الكلمات الأربـع (النون، اللام، الجيم، القاف)، الحروف الأربعة وكأنها تراكمت فوق بعضها البعض، لتعطي إحساسًـا بالعمق والبعد المذكـور في معنى الآية القرآنية، حيـث إن كلمة "عميق" في اللغة العربية معناها البَعيد إلى أسفل.

وتظهـر أهميـة الحرف وأسـلوب اسـتخدامه بطـرق فنية

مختلفـة ومبتكـرة فـي وقـت واحـد فـي العديد مـن لوحات المسـجد، ومـن أكثرهـا تعبيـرًا عـن ذلـك، لوحتـان ثابتتان، إحداهمـا على الجدار الغربي للمسـجد، وهـي ترى من بعيد علـى هيئـة كتابـةٍ دائريـةٍ لعدد تسـعة أحرف متكـررة لحرف "السين". وإذا ما اقتَربْتَ منها وقرأتَها، وجدتَها هي آيات آخر سورِ المصحف وهي سورة "الناس"، والتي تنتهي كل آية فيها بحرف "السين" والذي يحتضن بداخله باقي الآية. أما اللوحة الثانية فمكتوبة على أحد أعمدة المسـجد والحرف الأسـاس فيها هو "الواو"، حيث يتكرر ثمانية منها على هيئة كتابة دائرية تحتضن بداخلها الآيات الأولى من سورة "الشمس".

إن مـا ذكرنـاه هنـا يعتبـر غيضًا مـن فيـض... فاللوحات الخطية الكثيرة الأخرى الموجودة في المسجد، لا تقل روعة ولا جمـالاً عمـا أشـرنا إليه آنفًا، وهو ما يحتـاج إلى مقالات أخـرى لا تحصـى، حتـى يمكـن أن نوفّـي تلـك الإبداعات الخطية حقها من الذكر والتأمل والاستمتاع.

المجموعة الشمسية على جناحي المنبر

إذا كانت حوائط المسجد وأعمدته قد ازدانت بتلك الكتابات الخطيـة الرائعـة التي عبّـرت عن العديد مـن المعاني القرآنية العميقـة المسـطورة فـي القـرآن الكريم، فـإن جانبـي المنبر الخشبي للمسجد، قد ازدانتا بزخارف خشبية على هيئة أطباق نجميـة ذات حشـوات خشـبية، يتوسـط بعض تلـك الأطباق أنصاف كُرات خشبية بارزة تمثّل المجموعة الشمسية.

فقـد تـم التعبيـر عـن الشـمس وكل كواكـب المجموعة

الشمسية، بأنصاف كُرات خشبية تتناسب في أحجامها مع الأحجام الحقيقية للشمس وتلك الكواكب، كما رُوعي في اختيار أماكنها أن تكون المسافات بينها متناسبة مع المسافات الحقيقة التي تفصل الشمس عن تلك الكواكب أيضًا. وبذلك اجتمع في المسجد الكبير بـ"بورصة"، كتابة آيات قرآنية من الكتاب المسطور وبعض آيات الكون المنظور المتمثلة في هذا العمل الفني والعلمي البديع في آن واحد، في إشارة هامة إلى التكامل بين الإيمان والعلم في الإسلام.

إن هذا التعبير الفني المدهش عن طريق تلك الأطباق النجمية السابحة على جانبي المنبر، تعكس مدى التقدم العلمي عند علماء المسلمين الأوائل في تلك العصور الزاهرة، حيث إن صناعة وابتكار فكرةِ هذا المنبر، كانت قبل ٢٣١ عامًا من اكتشاف العالم الأوروبي "جاليليو" لحقيقة كُرويّة الأرض ودورانها حول الشمس، كما تسبق فكرة اكتشاف الأمريكان لكوكب "بلوتو" عام ١٩٥٣م، حيث نفاجأ بوجوده على جناح هذا المنبر قبل حوالي ٦٣١ عامًا مضت قبل هذا الاكتشاف.

قصة النافورة بصحن المسجد

يتوسط صحن المسجد نافورة بديعة من الرخام الأبيض وضعت بعد بناء المسجد بحوالي ٢٢٠ سنة، وهي تحتوي على ثلاثة وثلاثين مخرجًا للماء، موزعة على ثلاثة مستويات. وعند خروج الماء من تلك الفتحات، فإن صوته يبعث على السكينة والاسترخاء داخل نفوس المصلّين، كما يعمل على امتصاص جزيئات الغبار والدخان بصحن المسجد، إلى جانب استخدام هذا الماء في الوضوء والطهارة، فتجتمع سكينة الباطن مع طهارة الظاهر.

ولتلك النافورة وظيفة بيئية هامة؛ حيث تقوم بدور التكييف الطبيعي لهواء المسجد عن طريق ترطيب الهواء الداخل من القبة المفتوحة بلا نوافذ والتى تعلو تلك النافورة تمامًا. إلى جانب أنه في الماضي حيث كانت تستخدم الشموع والمصابيح التقليدية، فكان الماء يقوم بامتصاص نواتج دخان ما يقرب من ٧٠٠ مصباح وشمعة كانت تستخدم في إضاءة المسجد قبل استخدام الثريات والمصابيح الكهربائية الحديثة.

تلك لمحات وتأملات خاطفة لبعض ما رأيته بالمسجد الكبير بـ"بورصة"، هذا المسجد الذي جمع بين روعة وضخامة البناء، وروحانيات التعبير عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحكم المأثورة، والتي جعلت حوائط وأعمدة المسجد تنطق بلا لسان بروائع البيان، لتجعل من هذا البنيان ليس فقط مكانًا للصلاة، ولكن صرحًا معماريًّا للتفكر والتأمل في آيات الرحمن وعجائب الأكوان. ■

(*) كلية الآثار، جامعة القاهرة / مصر.

د. حمدادو بن عمر*

الحوار الإقناعي
والمحاججة التربوية عند النورسي

تُعتبر "كليات رسائل النور" لبديع الزمان سعيد النورسي التي هي تفسير للقرآن الكريم لهذا العصر، مصدرًا مهمًّا وناجعًا في حل مشكلات العصر، وهذا بالرجوع إلى الإيمان العملي التربوي والعلم الحقيقي لتفسير كنه تلك المشكلات، وفقه منهج أخلاقي راقٍ يرتكز أساسًا على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ونظرًا لعناية القرآن الكريم عناية كبيرة بالحوار، مستعملاً في ذلك القوة الإقناعية المعتمدة أساسًا على المحاججة أو الحجاج؛ كان من البديهي أن يكون سعيد النورسي -رحمه الله- رجل حوار مقنع لكافة المسلمين ممن حوله، لأنه الأسلوب الأفضل للإقناع.

وأثناء قراءة الباحث لرسائل النور فإنه يلحظ أنها ذات دلالة حوارية واضحة، وهي بذلك نوع من الحوارات الممتزجة بين المباشرة أو غير المباشرة، والصريحة أو المضمرة، المنجزة الفعلية أو المفترضة المتخيلة حسب نظر أبي بكر العزاوي.

الحوار في رسائل النور له أشكال عديدة وأنماط متنوعة، فقد جاء تارة على شكل حوار داخلي، وجاء تارة أخرى على شكل مراسلات مع الطلاب. كما جاء أيضا على شكل مناظرة أو مناقشة أو نقد أو جوابا عن أسئلة.

لقد اشتملت رسائل النور على معجم حواري غني؛ فنجد فيها بعض المصطلحات التي تكاد لا تخلو من تلك المكاتيب أو المراسلات... فعلى على سبيل المثال نجد الحوار، المحاورة، النقاش، الجدال، المناقشة، المناظرة، المذاكرة، الإقناع، الاقتناع، المناجاة، التشاور، الرسائل، المكاتيب، الأسئلة والأجوبة، الخطاب إلى غير ذلك.

ثم إن الدلالات الحوارية والتي توحي دلالة صريحة أن

رسـائل النور جلّها يؤدي وظيفة حوارية في كثير منها؛ فهناك مجموعـة مـن العبـارات والتي تعتبـر كعناويـن جزئية ضمن تلك المكاتيب والرسـائل، فتـارة ترد في بداية بعض الفقرات أو المباحـث لتـؤدي وظيفة معينة؛ مثل حـوار في رؤيا، حوار مـع الشـخصية المعنوية لأوربـا، حوار مـع المؤمنات أخوات الآخـرة، حـوار مـع النفس، حـوار مـع فريق من الشـباب، محـاورة مع النفس، محاورة مع وزير العدل والحكام الذين لهم علاقة برسائل النور، خطاب إلى أوربا، خطاب إلى الذين يغالون في العنصرية... إلخ.

وإن العبـارات الإشـارية، أي الضمائـر وظـروف الزمـان والمـكان، وأيضًا لفظـة القول بمشـتقاتها، وألفاظ أخرى من قبيـل اعلموا، تعلمـون... وتعابير مثل إخوتـي الأعزاء، أخي العزيز المحترم، أيها الإنسـان ويا نفسـي... إلخ، وهي تعابير يراد من خلالها إقناع المتلقي بما يجب إقناعه به.

من حوارات النورسي

لا بـأس مـن أن نورد نماذج من هذه الحوارات التي تزخر بها رسائل النور. ونبدأ بهذا النموذج الذي يخاطب فيه البشرية لا سيما الشـخصية المعنوية لأوربا، حيث نجده يقول: "يا أوربا الثانيـة، اعلمي جيّدًا أنك قد أخذت بيمينك الفلسـفة المضلة السـقيمة، وبشـمالك المدنية المضرة السـفيهة، ثم تدعين أن سـعادة الإنسان بهما. ألا شلّت يداك، وبئست الهدية هديتك، ولتكن وبالا عليك وسـتكون. أيتها الروح الخبيثة التي تنشـر الكفر وتبث الجحود، ترى هل يمكن أن يسعد إنسان بمجرد تملكه ثروة طائلة، وترفله في زينة ظاهرة خادعة وهو المصاب فـي روحه وفي وجدانه وفي عقله وفـي قلبه بمصائب هائلة؟ وهل يمكن أن نطلق عليه أنه سعيد؟ (...) فأي سعادة يمكنك أن تضمني لمثل هذا المسـكين الشـقي؟ وهل يمكن أن يطلق لمـن روحـه وقلبـه يعذبان في جهنم، وجسـمه فقـط في جنة كاذبة زائلة أنه سعيد؟".

نجد سـعيد النورسـي في هـذا الحوار الموجـه إلى أوربا محـاولاً نقدها بأسـلوب قويم ورشـيد، حتى تجنح لسـعادة الإنسـان وجعلـه المثـل الأعلـى لمن خلفـه. وبذلـك تكون رسـالة سـعيد النورسـي هادفة في بُعدها التوعوي، بأسـلوب إقناعي مجسّـد أساسًـا في عملية الحوار؛ إلـى جانب الحوار الذي أجراه مـع بطريرك الروم "آشـنو كراس" سنة ١٩٥٣ في الاحتفال الذي أقيم بإسـطنبول بمناسـبة مرور خمسمائة عام على فتحها. هو التالي:

سعيد النورسي: يمكن أن تكونوا من أهل النجاة يوم القيامة إذا آمنتم بالدين النصراني الحق، بشرط الاعتراف بنبوة سيدنا محمد ﷺ وبالاعتراف بالقرآن الكريم كتابًا من عند الله.

البطريرك: إنني أعترف بذلك.

سـعيد النورسـي: حسـنًا، فهل تعلنون ذلك أمام الرؤساء الروحانيين الآخرين؟

البطريرك: أجل إنني أقول ذلك ولكنهم لا يقبلون.

إن هـذا الحـوار هـو فـي الحقيقـة ضـرورة ملحـة فـي التحـاورات الخطابيـة قصـد التأثير واسـتمالة الآخـر؛ وهذه الفكـرة التـي لطالمـا كانـت محلّ قناعة النورسـي كأسـلوب فـي الحيـاة للتواصل مـع الغير، وحل المشـاكل والخلافات الجدلية بينه وبين الآخرين. وكانت جلّ حواراته موجهة نحو كل الفئات ومختلف المتلقين حسـب قدراتهم العقلية، مثلما نجده في حواراته مـع أصحاب الديانات المختلفة.

وفـي هـذا المقطـع من حـواره مـع بطريرك الـروم، نجده يركـز علـى عناصر الوحـدة والاتفاق، حيث إننا يسـتلهم من قولـه تعالـى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَـوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُـمْ أَلاَّ نَعْبُـدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْـرِكَ بِهِ شَـيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًـا أَرْبَابًـا مِـنْ دُونِ اللهِ﴾(آل عمران:٦٤)، وقولـه تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(العنكبوت:٤٦).

وفي مثال آخر نجد سـعيد النورسي يُثير النظر إلى المثال المنبثق عن قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُـذُوا مِـنْ أَقْطَارِ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لاَ تَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ۞ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(الرحمن:٣٣-٣٤). وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَـدْ زَيَّنَّـا السَّـمَاءَ الدُّنْيَـا بِمَصَابِيـحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾(الملك:٥).

يقول سـعيد النورسـي: "اسـتَمِع لهـذه الآيـات وتدبَّر ما تقـول... إنهـا تقـول: أيُّهـا الإنس والجـان، أيُّهـا المغرورون المتمـرِّدون، المتوحِّلون بعجزهم وضعفهـم، أيُّها المُعانِدون الجامِحـون المتمرِّغـون فـي فقرهم وضعفهـم... إنكم إن لم تُطِيعـوا أوامِري، فهيَّا اخرجوا من حدود ملكي وسـلطاني إن اسـتطعتم، فكيـف تتجـرَّؤون إذًا على أوامر سـلطان عظيم؟! النجـوم والأقمـار والشـموس فـي قبضتـه، تأتَمِـر بأوامـره، كأنهـا جنـودٌ مُتَأهِّبـة... فأنتـم بطغيانكـم هـذا إنما تُبـارِزون حاكِمًـا عظيمًـا جليلاً له جنـود مُطِيعون مَهِيبون، يسـتطيعون

أن يرجموا بقذائف كالجبال، وأنتم بكُفرانِكم هذا إنما تتمرَّدون في مملكة مالك عظيم جليل، له جنود عِظام يستطيعون أن يقصفوا أعداء كفَرَة -ولو كانوا في ضَخامة الأرض والجبال- بقذائف مُلتَهبة، وشَظايا من لهيب كأمثال الأرض والجبال، فيُمزّقونكم ويُشتّتونكم، فكيف بمخلوقات ضعيفة أمثالكم؟ وأنتم تُخالفون قانونًا صارمًا يرتبط به مَن له القدرة -بإذن الله- أن يُمطر عليكم قذائف وراجمات أمثال النجوم"، "قس في ضوء هذا المثال قوَّة معاني سائِر الآيات، ورَصانة بلاغتها، وسمو إفادتها".

تُعتبر "كليات رسائل النور" تفسيرًا للقرآن الكريم لهذا العصر، ومصدرًا مهمًّا وناجعًا في حل مشكلات العصر، وهذا بالرجوع إلى الإيمان العملي التربوي والعلم الحقيقي لتفسير كنه تلك المشكلات، وفقه منهج أخلاقي راقٍ يرتكز أساسًا على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

إن المتمعن في رسائل النور، يلحظ أن تلك الحوارات التي اشتملت عليها، لا تكاد تخلو منها وبدلالاتها التعريفية. ثم إن تلك الحوارات التي كان يجريها باستمرار مع طلبته والتي تضمنها المجلد السابع من رسائل النور "الملاحق في فقه دعوة النور"، وحواراته مع الآخر. وهي التي سيكتب لها الاستمرارية كما كتب النورسي؛ يقول بأنه على يقين من استمرارها في المستقبل، وكان يشعر باليقين اتجاه هذا. فالنساء والأطفال قد ردّوا بحماس على رسائل النور في منطقتي "إسبارطة" و"قسطموني"، بل وكان هناك من يقرأ رسائل النور من بين طلاب المدارس في قسطموني. وقد أشار إلى هذا في عدد من رسائله معبّرًا عن بالغ سعادته لكتابة أعداد كثيرة لأجزاء رسائل النور على يد الأطفال والنساء والشيوخ، ففي إحدى رسائله كتب يقول:

"الإخوة الأعزاء الأوفياء! أُرسلت إلينا نسخٌ كَتَبها ما بين خمسين إلى ستين من طلاب رسائل النور الصغار الأبرياء، وقد جمعناها في ثلاثة مجلدات، وننوه بأسماء بعضهم: عمر، وله خمسة عشر عامًا، بكر، وله تسعة أعوام، حسين، وله أحد عشر عامًا. وتوضح جهودهم الجليلة في هذا الوقت، أن رسائل النور تتمتع بجاذبية وشغف وإمتاع تفوق أوان التسلية والحوافز المختلفة التي يحاولون إغراء الأطفال بها للحضور في المدارس الحديثة، وإن شاء الله لن يستطيع شيء أن يمحو ذلك، ولسوف تستمر عبر الأجيال".

هذه الملاحق عبارة عن مجموعة مكاتيب ومراسلات جرت بين الأستاذ النورسي وطلابه الأوائل، وطابعها العام توجيهي إرشادي يبيّن أهمية رسائل النور، ومنهجها في الدعوة إلى الله في هذا العصر، تكتنفها مكاتيب ودية يبين فيها الطلاب مدى استفاضتهم الروحية من رسائل النور واستفادتهم العقلية منها، وكيف أنها حولت مجرى حياتهم وفتحت أمامهم آفاقًا معرفية واسعة.

ثم إن نظر سعيد النورسي يتوقف أساسًا على أخذه بمنطق الأولويات وبمبدأ السياق. فنجده في الأمثلة السابقة حاور أوربا النافعة، وحاور النصرانية الحقة، وحاور المدنيين من غير المسلمين مستندًا إلى الدليل العقلي والنقلي، ومستندًا إلى الحجاج وقوة الإقناع.

ومن هذا المنطلق، نجد أن سعيد النورسي يورد لنا قواعد الحوار والمناقشة وضوابطهما، بعد أن أثير نقاش وجدال حول صحة أحد الأحاديث يقول: "إن الشرط الأول في مناقشة هذه المسائل وأمثالها هو أن تكون المذاكرة في جو من الإنصاف وأن تجري بنيّة الوصول إلى الحق... وبصورة لا تتسم بالعناد... وبين من هم أهل للمناقشة... دون أن تكون وسيلة لسوء الفهم وسوء التلقي. فضمن هذه الشروط قد تكون مناقشة هذه المسألة وما شابهها جائزة. أما الدليل على أن المناقشة هي في سبيل الوصول إلى الحق، فهو أن لا يحمل المناقش شيئًا في قلبه، ولا يتألم ولا ينفعل إذا ما ظهر الحق على لسان الطرف المخالف له، بل عليه الرضى والاطمئنان، إذ قد تعلم ما كان يجهله، فلو ظهر الحق على لسانه لما ازداد علمًا وربما أصابه الغرور. ثانيًا إن كان موضوع المناقشة حديثًا شريفًا، فينبغي معرفة مراتب الحديث، والإحاطة بدرجات الوحي الضمني وأقسام الكلام النبوي. ولا يجوز لأحد مناقشة مشكلات الحديث بين العوام من الناس، ولا الدفاع عن رأيه إظهارًا للتفوق على الآخرين، ولا البحث عن أدلة ترجح رأيه وتنمي غروره على الحق والإنصاف".

الحوار والاختلاف الإيجابي

وكما هو معلوم، فإن الحوار له قواعد وضوابط لغوية وتأدبية

وأخلاقيـة كمـا يرى أبو بكـر العزاوي، حيث يقـول: "وهناك نظريـات ونمـاذج حواريـة عديـدة طرحت في هـذا المجال، نذكـر منها نظرية التعـاون الحواري لـ"بـول غرايس" ومفادها أن الحـوار لا يتـم بين شـخصين إلا إذا تعاونا علـى إنجازه، وقد ركزت بالخصوص على القواعد اللغوية التي تتعلق بكمّ الخبـر وكيفه وجهته ومناسـبته، وهناك أيضًـا نظريات كل من "روبين لايكوف"، و"ليتش"، و"براون" و"لفنسن"، التي أبرزت لنـا كثيرًا من القواعـد التأدبية الأخلاقية. ثم إن التراث العربي الإسـلامي زاخر بالمباحث والمصنفـات التي تعالج ضوابط الحوار وآدابه".

لقد سـبق وأن بينّا أن الأصل في الـكلام، الحوار، ونقول الآن إن الأصـل فـي الحوار، الاختلاف، فلـولا الاختلاف ما كان الحوار، ولولا الحوار ما كان الكلام. ومعنى هذا أن ثمة علاقـة وثيقة بين الحوار والاختلاف، ونحن نلجأ إلى الحوار والإقناع لرفـع الخلاف وتدبير الاختلاف وتحقيق الاتفاق.

ومما جاء في قول سـعيد النورسـي انطلاقًـا من الحديث النبـوي المعـروف: "اختلاف أمتي رحمة" قولـه: "الاختلاف يقتضـي التفـرق والتحـزب والاعتـداد بالـرأي، ولكـن داء التفـرق والاختلاف هذا، فيـه وجه من الرحمة لضعفاء الناس مـن العـوام؛ إذ ينقذهـم من تسـلط الخـواص والظلمة الذين إذا حصـل بينهـم اتفـاق في قريـة أو قصبة اضطهـدوا هؤلاء الضعفـاء، ولكـن إذا كانت ثمة تفرقة بينهم فسـيجد المظلوم ملجأ في جهة فينقذ نفسه".

يبيّن النورسي في هذا النص قضية من القضايا الهامة التي ينتمـي إليها الحـوار، وهي قضيـة "رفض الاختلاف السـلبي الهـدام الـذي لا فائـدة منـه ولا يسـاعد علـى الوصـول إلى الحقيقة، والاختلاف يصبح هنا خلافًا. فكل خلاف اختلاف، وليـس كل اختلاف خلافًا، لأن الخـلاف أقرب ما يكون إلى الصراع والنزاع".

أمـا الاختـلاف الإيجابـي الذي يسـاعدنا علـى الوصول إلـى الحـق وإدراك الحقيقة فهـو مطلـوب، لأن الحقيقة إنما تظهر لنا جلية واضحة عند مناقشـة الآراء، ودراسة المواقف، وتصـادم الأفكار، وتخالف العقول... يبين النورسـي في هذا النص، العلاقة القائمة بين الحوار والاختلاف، سواء أكان هذا الاختلاف فكريًّا أم عقديًّا أم سياسيًّا، لكن بشرط أن تكون الغاية هي الوصول إلى الحق، فهنا الاختلاف يقتضي الحوار والنقاش.

خاتمة

مـن خلال مـا عرضناه، نجد أن سـعيد النورسـي بيـن الفرق بيـن الاختـلاف الإيجابي والاختلاف السـلبي. وبيّن أيضًا أن الاختـلاف الإيجابي يقتضـي الحوار والنقـاش، لأنه ضرورة حتميـة حتـى يمكننـا إقنـاع المتلقـي. وبذلك تكـون العملية الحوارية مسـتوفاة الشروط حتى وإن كان أمر الاختلاف كائنًا ضمـن العمليـة الحواريـة. ومـن خلال مـا بينه النورسـي من إشارات واضحة المعالم حول الحوار الداخلي أو الحوار مـع الآخر، فإنه أدرك مغزى الحوار من خلال إثباته لتفوق القرآن وحضارته، وأنه لا يمكن للبشـر -أفرادًا أو جماعات- تحقيقًا يصبون إليه من رضا وسعادة إلا من خلال القرآن.

لقـد أسـهمت تلـك السـمات وغيرها فـي تهيئـة كتابات النورسـي للوصـول لـكل فئـات الشـعب، بغـض النظـر عن مسـتوى فهمهم، فهي بذلك تفسـر شـعبية رسـائل النور -لا سـيما الحواريـة ومخاطبـة العامـة- محاولـة منه فـي إيصال رسالته لكافة الناس، حتى يفهم الناس طبيعة الحوار الاقناعي لـدى المتلقي وهو الـدور الذي لعبته رسـائل النور في حفظ معالم الرمزية الدينية والأخلاقية التي تحويها.

وهنا تبرز رمزية رسـائل النور وأهدافها التربوية؛ وقداسـة القـرآن الكريـم المتجسـدة أساسًـا في فكر سـعيد النورسـي التربـوي، ويبدو ذلـك واضحًا من خلال رسـائله ومكتوباته. تلكم هي باختصار الظاهرة النورسية التي حاولت تغيير العالم أجمـع. ■

(*) قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران / الجزائر.

المصادر

(١) كليـات رسـائل النور (المكتوبـات، الكلمات، الملاحق)، ترجمة إحسـان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة.

(٢) الحوار والحجاج وقبول الاختلاف أسـاس التربية على حقوق الإنسـان"، لأبي بكر العزاوي، مجلة عالم التربية، عدد:١٥، ٢٠٠٤.

(٣) الإسـلام فـي تركيـا الحديثة، بديـع الزمان النورسـي، لـ"شـكران واحدة"، ترجمة محمد فاضل.

شعر

عبد الله صدقي*

يا رسول الله

زادك من زاد الصبر بالطبع أجلد ... وحظك من العز في العيون يطلب
كذا الخلق بالصبر يبقى صبورهم ... ويذهب عنهم شأنهم ذاك حين ينضب
وعدت وعدك وفي الوعد منصب ... لحسنك معلوم وفي العهد مطلب
ونبلك من الأكرمين أقوى سماحة ... وأفصح بيانا في نفوس الخلق وأكسب
وإن يطلبوا الطهر ظاهرا وسلوكه ... فبسطك له وللحب بعد ذاك أعذب
إذا سلكت فجاج الناس فالنور أقرب ... وإن عبرت فهونا في السير مأرب
وعزك الطهر وشاحا تواضعا ... وشمسك العفو ضياء بالرفق أصوب
يغشاك نور العلم بهديه معالما ... ويرقيك حبق اليقين ما حييت ويصلب
بالسلام بادلت الجاهلين يوم خاطبوا ... وبالرفق حضنت الضال وهو يتأهب
حملت على الشرك لما بدا خطبه ... وسلكت سبيل المنيبين إلى الله فما أقرب
استترت بعفو ربك طاعة المتدلل ... لما علمت الجرم آت يوم الجزاء لا مهرب
أدركت عزم الأمور فقمت للدين ... صلاة ودعوة إلى الحق وأنت صائب
واتبعت سبيل الهدى متوجسا الخطو ... تحدوها كما حدتها بالعزم الكتائب
فبسطت خدك للرحمان حمدا وطاعة ... كذا قصدك في الأمور ما شابها شائب
جلالك الحياء هبة تناجي الله به ... وتركن إلى السجود شوقا فالواحد واهب
طهر اليدين تسمو كالنور قد علا ... جوا حتى تدرك بفضله المطالب
لم يزعجك مكر من علا تجبرا ... دسا بالنفس فجورا هكذا الأكاذيب
بالتسبيح هللت طويلا ذكر ربك ... وبالصبر هاجرت ،وهجرك جميل ثاقب
قمت الليل بالقرآن تبتلا تدعو به ... لما وطئت الأسحار ها قد رضي الراقب
تلألأ الماء منسكبا على الوجنتين ... وضاء عند الوضوء صلاة وأنت آئب
بالنذر وفيت، وحق السائل أعطيت ... فأبدلت العطاء متوسلا والمتوسل راغب

(*) شاعر مغربي.

د. رشيد كهوس*

يتيم القدر

عاد الطفل من المدرسة.. وجد كل شيء في البيت قد تغير.. حزنٌ خيّم على سمائه.. ودموع أحزان تناثرت بين جنباته.. هرول الطفل إلى بيت أبيه فوجده ممددًا والأم تضع الحنّاء على قدميه.. سأل في دهشة: "ما الخطب أمي؟!

تتفاجأ الأم بسؤال طفلها، وفي حيرة مذهلة بين ابتلاع دموعها وارتباك جوابها: "إنه أباك نائم".

يجلس الطفل يتوسد قدمي أبيه، والأم تنهمر الدموع من عيونها، والأبناء والبنات يلتفون حولها.. تبحث الأم في تركة الأب لعلها تجد ما تشتري به ملحًا لقدرها، لكن لم تجد شيئًا.. مَن يشتري لها.. الأطفال صغار، ونفسها عفيفة لا تمد اليد إلا لباريها.. سلّمت الأمر لربها ورضيت بقضائه.. شُيعت الجنازة، وانتهت مراسيم العزاء، ونُعي إلى الطفل وفاة أبيه، فجرت من عينيه الدموع أنهارًا.. لم يجد الطفل أمامه إلا حضن أمه يأوي إليه.

لم يكن وفاة والده سهلاً عليه.. فالطفل في ربيعه السادس.. ولكن لله ما أخذ وما أعطى وكل نفس ذائقة اليوم إما اليوم أو غدًا.

وظل الطفل العاقل صابرًا، والأم تحيطه برعايتها وترعاه في كنفها، وتخوض به لجج الحياة ومتاعبها، وصعوبة العيش وبؤسه وحالة الفقر ونكده ومرارة الأسى والأحزان.. وتنشئه على خصال السماحة والرحمة والأدب، وعفة النفس واحترام الآخرين، والاهتمام بالمحتاجين.. لم تقصّر قط، ولم تغفل عنه طرفة عين.

أخذ منه القدر أباه، وجعل حياته حياة فقر.. ينهره بعض الناس بلا سبب، وينظرون إليه بنظرة حسد.. يستغرب الطفل البريء! لِمَ أُحسد؟! وعلى ماذا؟! أَلفقري، أم لمتاعب حياتي، أم لفقداني والدي، أم لتمزق قلب أمي علي؟! لِمَ نسي هؤلاء الناس تعاليم السماء: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾؟ ووصية خاتم الأنبياء ﷺ للرجل الذي شكا إليه قسوة قلبه: "ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلين قلبك وتدرك حاجتك".. تكاد لا تنزل على رأسه إلا الصفعات.

وتمضي الأيام ويجد الجميع الطفل اليتيم شابًا يافعًا عاقلاً راشدًا، يصعد المنبر ليخاطب الناس في يوم الجمعة.. ينظر أمامه فيجد أصحاب الصفعات وما أهانوه في صباه.. يحنون رؤوسهم وينظرون بنظرات تذكّرهم الماضي.

لكنه استهل خطبته بنثر ابتساماته على الجميع المسيئين والمحسنين.. لم يرد الإساءة بالإساءة، وإنما رد الإساءة بالإحسان كما أنشأته أمه التي كانت تبكي من شدة الفرح كلما سمعت عن طفلها الشاب الخيرَ والخُلقَ الحسن، فتسجد لله سجدة شكر أن جهدها لم يذهب أدراج الرياح.. وأن الله بارك ابنها، وجعله بارًّا بها وبأهل قريته الصغيرة.. جعله شابًّا خلوقًا عفيف النفس، حسن الخُلق، كثير الأدب مع الصغير والكبير.. حمدت الله أن جعل ابنها محبوبًا عند الجميع حتى عند مسيئين له في الماضي.

هنا أدرك الطفل الشاب أن الله لا يفعل إلا خيرًا.. يأتي بالفرج بعد الشدة، وبالمخرج بعد الضيق.. فحمَد الله وأثنى عليه، ودعا بالخير والبركة والرفعة لأمه المباركة.. وبالرحمة والغفران لوالده المرحوم. ■

---

* جامعة محمد الأول / المغرب.

عبد العزيز بن عمر*

بين القلب والعقل

التوازن الصعب

قد يغوص الباحث في أعماق الفكر، وقد يتجول في أضيق أزقة العلم ويحيط بها... وقد يسعى أيضًا إلى فكّ أعقد المسائل المؤرقة، مستعينًا في كل هذا بقدراته العقلية، وإمكاناته المادية المتوفرة، والمراجع العلمية المتاحة... لكنه وفي نهاية مطافه قد ينتج نتائج جافة، باهتة، قصيرة الأمد، وغير مؤثرة في الإنسان إلا قليلا. إن انطفاء جذوة الاحتراق من أجل قضية أو من أجل أمة أو وطن أو دين، من أهم الأسباب التي تجعل المعرفة الإنسانية مسطحة غير دافعة للفعل... هنا يغدو المرء ملزمًا بإعادة دراسة موقفه تجاه ما يقرأ، من الناحية الأخلاقية، والعلمية، والشرعية، والحضارية، ودراسة القابلية الذهنية تجاه ما يقرأه، وإلا فإنه يلعق الإناء من الخارج... فالقرآن الكريم كمنهج حياة، مركز على القابلية الذهنية عند الإنسان (السمع، البصر، الفؤاد... إلخ) من أجل إعادتها إلى صحوتها، ومن أجل استعادة نشاطها الإيماني.

فلطالب العلم -مثلا- مسؤوليتان لا يمكن تجاوزهما، الأولى مسؤولية شرعية إيمانية لا يمكن التغافل عنها وإهمالها، تفاديا لأن تؤول كل الجهود إلى إضافة لحبر جديد، وأعمال أخرى بعيدة كل البعد عن حقيقة الحياة وحقيقة الإنسان. أما الثانية فهي المسؤولية المعرفية

العلمية، يحاول فيها أن يزداد علمًا واكتسابًا وفعالية.

بعض الإشكالات في القراءة الفكرية

١- القراءة دون اعتبار السياق الزماني والمكاني: هي من الأمراض الخطيرة التي تصيب المشتغلين بالفكر، إذ تتجلى أعراضها في التحليلات النظرية البعيدة عن الواقع، والتي يصعب -بل يستحيل أحيانًا- تطبيقها واقعيًا، لأنها أخلت بأمر مهم وهو "وجوب اعتبار الإحداثيات الزمانية والمكانية" للظاهرة المدروسة.

٢- إشكالية "غوغل" (البعد عن الكتاب): هي إشكالية عامة، يعاني منها جلّ المشتغلين بالعلم حاليًا، إذ إن طريقة التعامل مع محرك البحث "غوغل" تعكس وبصفة كبيرة الفوضى المنهجية، والتشوش الفكري الذي يعانيه مرتادو الشبكة العنكبوتية عبر العالم. ودليل ذلك انقطاع حبل التفكير في فهم الكثير مما يحيط بنا من ظواهر وأحداث، وغياب الحفر المعرفي الحقيقي في المؤسسات التربوية... إذ نجد أن موقف إنسان واحد، قد ينتشر ويصبح -بدون تمحيص علمي معرفي- موقفًا للكثيرين، بدافع التقليد أو بدافع الفوتوغرافية المتلقية -كما يصطلح عليها الدكتور عبد الوهاب المسيري.

٣- القراءة الانطباعية: وتتمثل في قراءة القرآن الكريم، أو الكتب الفكرية، أو الشرعية أو غيرها، من أجل البحث عما يلائم هوى القارئ وميولاته، وأفكاره الشخصية، فينتهي بفعل هذه القراءة الانطباعية إلى مجموعة أحكام مجتزئة مختزلة.

من هو "المفكر"؟

حين يجهل الإنسان تعريف شيء ما ولا يعلم كنهه، فإنه بطبيعة الحال، لا يستطيع أن يوظفه في حياته توظيفًا سليمًا.

من هذا نلاحظ أن الكثيرين يطلقون صفة المفكر على من لا يتصف بها، أو يسحبونها عن من يتمثل صفاتها. من أجل هذا سنوضح فيما يلي أهم صفات المفكر.

• **امتلاك النسق:** إذ إن المفر هو الباحث الممتلك لنسق معرفي فكري متواصل غير منقطع، ظاهر في جميع أبحاثه وأعماله العلمية، بإشكالاته الأساسية والمحورية التي يسعى المفكر من خلال أعماله أن يجيب عنها من شتى الزوايا والمجالات.

• **القلق المعرفي الحضاري:** أي أن الباحث يعيش في قلق معرفي، وهَمّ حضاري تدور كل أبحاثه حولهما، فوجب بهذا أن يكون حاملاً لمسؤولية أخلاقية إيمانية علمية يسير وفقها.

• **الحركية بين الفكر والفعل:** وفي تعبير متفرد للأستاذ علي عزت بيوجوفيتش، يبيّن أن انتفاء هذه الحركية بين الفكر والفعل، هو بالضرورة انتفاء لصفة أساسية من صفات الإسلام.

• **امتلاك شخصية المربي:** إن البعد التربوي في خطاب المفكر أو في أبحاثه وأعماله العلمية، مهم جدًّا، لأنه يصبغ أعمال المفكر بالمسؤولية التربوية والحضارية.

وفي كل هذا وجب اعتبار المركب الحضاري الذي ولد فيه وعاش ونشأ هذا المفكر، واعتبار الوعاء الحضاري الذي يميزه عن غيره.

ثنائية الروح والمادة بمنظار "بيوجوفيتش"

تاهت الإنسانية -ولا زالت- بين ثنائية الروح والمادة، أو العقل والقلب. فكثير ممن كان يظن أن اقتصار العيش وإقامة الحضارة على أحدهما، دون اعتبار الآخر، أنتج نتائج مشوهة غير كاملة، فإما أن تكون مادية بحتة لا تعتبر للإنسان مكان ولا قيمة، وإما أن تكون روحية مغرقة في البعد عن الواقع، سابحة في فضاءات عالم خيالي، لا يعتبر السنن الكونية ولا النُظم العلمية.

لكن المفكر علي عزت بيوجوفيتش يؤكد من خلال كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب"، أن الإسلام أتى ليجمع بين الروح والقلب، من أجل إنسان يعيش حياة متوازنة غير مختلة. فيقول المفكر بيوجوفيتش أنه " لا يمكن في الإسلام، أن تحمل نفسٌ مطمئنة، بدنًا متسخًا".

وفي حديث الأستاذ المربي علي عزت بيوجوفيتش عن المعايير الأساسية في بقاء الأمة حية تنبض عروقها بدماء الفعالية والتوازن، يورد معيارًا على شكل مصطلح منحوت وهو "المسجد مدرسة"؛ أي التحام المسجد بالمدرسة وهو ما يحيلنا إلى ما يذكره في كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب" مرارًا وهو التوازن بين العقل والقلب. فالمسجد يذكي الروح الإيمانية عند المسلم، والمدرسة تغرس فيه حب المعرفة والسعي لاكتسابها، والجمع بينهما في كل آن، وفي كل حركة وسكنه من تمام الإيمان. ■

(*) كاتب وصحافي جزائري.

محمد هاشم البشير*

العلم التجريبي الحديث وأثرة على عقيدة المسلم

كل الآيات القرآنية الداعية إلى التفكير في مخلوقات الله ﷻ وحسن تدبيره في الكون، حجة على كل من يدّعي أن العلم يؤدي إلى البُعد عن الله ﷻ، وأن إعمال العقل يُبعد عن الدين، وأن الباحث في العلوم الكونية بعيد عن الدين، وأن الدين يُبعد الموضوعية والعقلانية والتفكير العلمي عن الحياة.

إن حياة الإنسان كلها في الإسلام تمر عبر الدين بما في ذلك العلم. فقد جعل الإسلام الإيمان حافزًا ودافعًا هامًّا للإنسان لاكتشاف خالقه من خلال اكتشافه لعظمة خلقه. وهذا ما يعرف بدليل الأثر على وجود المؤثر. وهكذا فكلما ازداد الإنسان علمًا ازداد معرفة بالله، وكلما ازدادت معرفته ازداد تدينه

وخشيته من الله ﷻ، وهذا ما تعبّر عنه الآية الكريمة: ﴿كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(فاطر:٢٨).

والناظر اليوم إلى تخبط المناهج العلمية في الغرب، يعرف مدى خسارة الغرب بإبعاده النموذج الإسلامي للتفكير العلمي، واستحداث مناهج أصبحت تتفلت وتنهار على نفسها. واليوم تكاد المعرفة الغربية الحداثية تستنفد طاقتها. فكل ما أنتجته الحداثة بات الآن ماضيًا في نسق معرفي ثابت، بحيث أصبح ثمة إدراك عميق لدى علماء العلوم الطبيعية الحديثة -كما يشير الدكتور عبد الوهاب المسيري- بأن المعرفة الكلية أو حتى شبه الكلية، مستحيلة، وأن رقعة المجهول تتزايد بنسبة أكبر من تزايد المعلوم، وأن معرفتنا العلمية المادية عن الواقع ليست يقينية، وإنما احتمالية إلى حد كبير... وذلك بسبب استحالة تفسير الواقع كليًا اعتمادًا على التفسير المادي.

لقد جعل الإسلام الإيمان حافزًا ودافعًا هامًّا للإنسان لاكتشاف خالقه من خلال اكتشافه لعظمة خلقه. وهذا ما يعرف بدليل الأثر على وجود المؤثر. وهكذا فكلما ازداد الإنسان علمًا ازداد معرفة بالله، وكلما ازدادت معرفته ازداد تدينه وخشيته من الله ﷻ.

بين العلم والدين

من المعلوم أن المعرفة الغربية قد تأسست على موقف عدائي من "الدين" والمعرفة الدينية، بعكس الحضارة الإسلامية التي قامت على مصالحة وتسوية معها تجعل كل المقولات بين العلم والدين، المنقولة من السياق الغربي وتاريخه الديني، أمرًا لا معنى له في سياق الحضارة الإسلامية.

يقول البروفسور محجوب عبيد طه: "ليس هنالك تخوف على الدين من العلم، هذه هي عقيدة المسلم الصحيحة. كثير من الناس -من المسلمين وسواهم من أهل المعتقدات الغيبية- يظن أن في الأمر حرجًا أساسيًا وتناقضًا واضحًا لا سبيل لمعالجته ويَحسن أن يغض عنه الطرف. وهذا في الحقيقة وهمٌ كبير، وفيه سوء ظن بالعقيدة أو بالعلوم الطبيعية أو بالإنسان وصدق تعامله معهما معًا ومع الكون والحياة بصفة عامة، ذلك أن الصدق وإخلاص النية وتطهير السريرة وتنقيتها، هي من صفات الإنسان السوي ومن الخصائص اللازمة للمؤمنين، ولا يتسق أبدًا أن يجمع المؤمن في عقيدته ومنهج حياته، بين متناقضات ينكر بعضها بعضًا".

فالمنهج الإسلامي، يجعل الإنسان يتعامل مع الواقع تعاملاً معرفيًا، ولكن باستخلاف الله له فيه، يقبل ما يقبل ويرفض ما يرفض بمفهوم العبادة الشاملة لله ﷻ. والحس والعقل معًا، محكومان في أداء دورهما العبادي في المعرفة بالمصدر الموثوق اليقيني والرباني وهو الوحي. ذلك أن الإنسان لا يمكنه الإيمان بالحس دون وجود عقل يحكم بصدق الإحساس، كما أن العقل -وإن كان يستند إلى الحس- فلا يمكن أن يكون الحس هو الذي يحكم عليه بمحدوديته. والحس والعقل -وهما ملك الإنسان المخلوق العاجز الذي يبتدئ علمه وينتهي ويفني- لا يمكن أن يكونا المصدر الوحيد للمعرفة، وإنما لابد من مصدر لا ينضب ولا يحكم عليه بالمحدودية والفناء، وهو المصدر الرباني عن طريق الوحي. ثم يأتي دور العلم والعقل في الحفاظ على العقيدة عبر النظر والتأمل في الكون، لالتماس الحجة العقلية التي تعضد عقائد الإيمان.

يقول أينشتاين "دين بلا علم أعرج، وعلم بلا دين أعمى". لهذا يمكننا تبنّي وجهة النظر القائلة إن الاعتقاد بصحة العلم الطبيعي جزء من الدين. لأن العلم الطبيعي يتعلق بالظاهر، وتصديق الظاهر دليل العقل والحكمة، ومن لا يقف عند الظاهر ويتأمله ويربط بين أحواله بالتسبيب والتعليل، لا ينتظر منه أن يحسن الاعتقاد بوجود الغيبيات وبحقيقة تأثيرها في الحياة. ولذلك فليس واردًا أن نسحب الثقة من العلم الطبيعي، لأن الإيمان بالثابت من العلم الطبيعي، هو مقتضى العقل وجزء من الإيمان بصدق الدين. بل إن صريح القرآن الكريم، حث على تدبر الكون والكائنات، وعلى تأمل خلق الله وإدراك سننه في سلوك المخلوقات، وفضل العالمين بهذا على من جهلوه، وهو من جوهر العلم الطبيعي ويتم بوسائله ويحقق أهدافه.

وفي هذا السياق يقول "موريس بوكاي" في مقدمة كتابه: "إن القرآن يذكر أنواعًا كثيرة من الظاهرات الطبيعية، ولكن معرفتي كانت وجيزة. وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي،

استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث (...) ولا عجب في هذا إذ إن الإسلام قد اعتبر دائمًا أن الدين والعلم توأمان متلازمان. فمنذ البداية كانت العناية بالعلم جزءًا لا يتجزأ من الواجبات التي أمر بها الإسلام. وأن تطبيق هذا الأمر، هو الذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلوم في عصر الحضارة الإسلامية. تلك التي اقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة في أوروبا".

العلم التجريبي والأمن الفكري

بهذا يمكن القول، إن العلم التجريبي أداة فعالة جدًّا في تحقيق الأمن الفكري والعقدي لدى الفرد المسلم، وهذه التربية القرآنية الداعية للتفكر والتدبر العقلي بقصد الاستدلال على مسبب الأسباب والخالق الفعلي للأكوان، إنما يضع لها الوحي النبوي -المبيّن للكتاب- ضابطًا مهمًّا، وهو عدم تجاوز هذا التفكر العقلي والتأمل ليصل إلى إعمال العقل والتفكر في الذات الإلهية وماهيتها لابتغاء معرفة كنهها.

لقد حوى القرآن فيما حوى، تصوُّرًا لجانب من علم الله الشامل، ليهتدي العقل البشري به فيرتاد آفاق العالم المعلوم منها والمجهول، فتتَّسع المدارك، ويسطع نور الإيمان المطلق بوحدانية الله ﷻ؛ الذي بيده مفاتيح العلوم كلها. ففي الوقت الذي كانت دراسة العلوم الكونية والطبيعية في نظر بعض الشرائع السماوية، أمرًا محرَّمًا في العصور الماضية، جاء الإسلام ليكون أجرأ مَنْ كشف الحجب عن العقل البشري- ذلك الكنز الهائل الذي يحمله الإنسان في رأسه- فأمره بالبحث والدراسة في البرّ والبحر، والتفكر في النفس البشرية لإدراك عظمة الكون التي تنمُّ عن عظمة خالقه، وليستفيد من بديع صنع الله ﷻ وينتفع به.

مما سبق، يتبيّن لنا أن النتيجة النهائية للإعجاز العلمي هي الأمن العقدي والفكري: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة:٢٥٩)، ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة:٢٦٠). ■

(*) رئيس جمعية الفيزياء بجامعة وادي النيل / السودان.

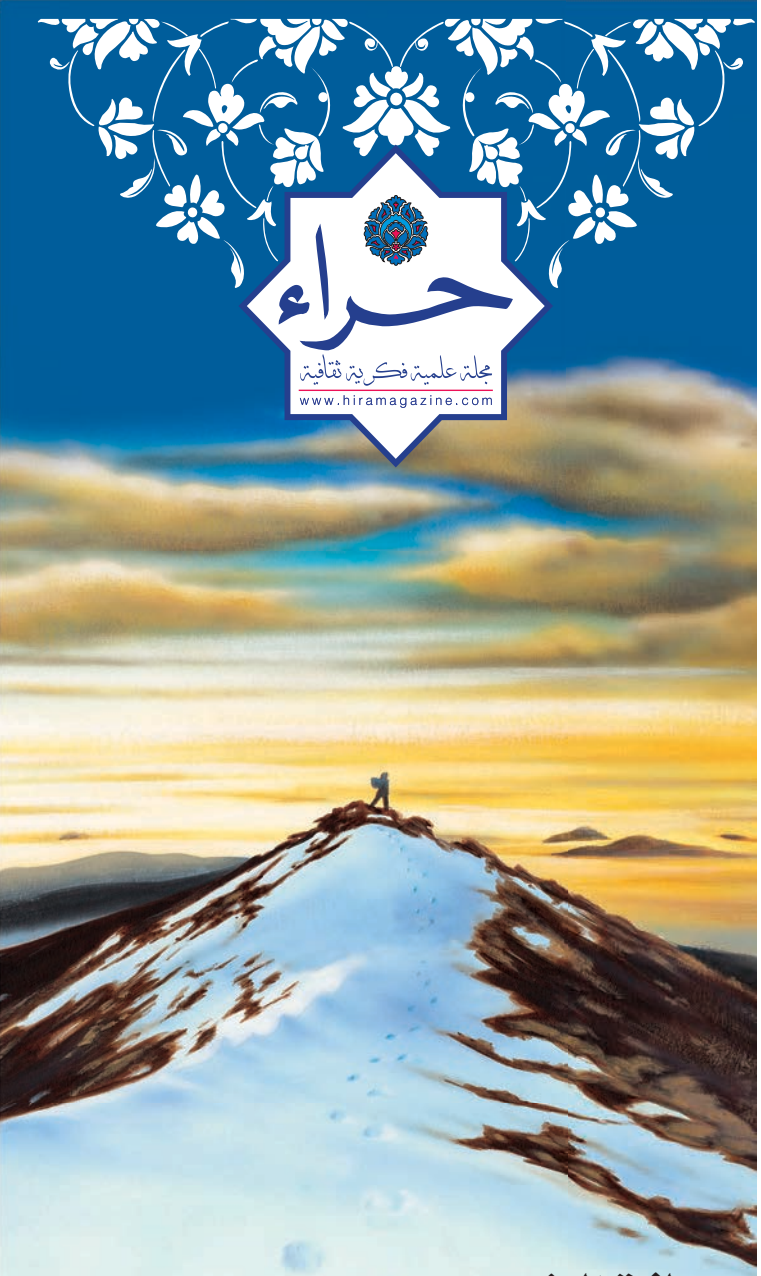

لغة العزم

العزائمَ -يا ربَّنَا- أَعطِنَا،
والهِمَمَ صُبَّها فينا...
فلا ترانا -يا ربُّ- إلاّ فوقَ القِمَم،
ولا تجدنا إلاَّ حيث يُمْتَحَنُ الرجال؛
فيصمدون للامتحان،
بهم يفرح الكون، ولهم الوجود يصفّق...
ولا تجعلنا -يا ربُّ- خَوَّارين قانعين،
وعن عظائم الأمور ناكصين،
ومع هوام الأرض سارحين...

* * *

د. عبد الحميد عشاق*

التوحيد والإنسان

١

التوحيد جوهرُ الدين، وقطبُ رحى الإسلام، والمَقْصِد الأسنى لرسالة القرآن؛ ولا يخلو موطن أو موضع في القرآن من تقريره وتوكيده والتنويه به.

والسؤال: لماذا تبوَّأ التوحيدُ هذه المنزلةَ العظيمة الخطيرة في الإسلام؟ لماذا لا يغفر الله أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء؟ وما علاقة التوحيد بحركة الإنسان في الأرض ومعاشه ونشاطه التاريخي، وسائر أحواله وعلاقاته ومؤسساته؟

الجواب عن هذا السؤال ذو شجون، ربما لا يتسع المقامُ لبسطه وتفصيله، ولكن لنقل بإجمال؛ إن التوحيد هو ناموسُ النظام الكوني، ومناطُ الاجتماع الإنساني. ومن جهة أخرى التوحيد هو صمَّام الأمان والإطار الأمثل لتحقيق مفهوم الإنسان الكامل بأبعاده الفردية والاجتماعية والحضارية.

إن المقصد من رسالة التوحيد في الإسلام، حفظُ الإنسان وصونُ حقوقه وممتلكاته، وحرمته وكرامته المعنوية من جميع أشكال الخرق والهَتْكِ والعَسْفِ التي تحصل في الواقع نتيجة لباعثين اثنين هما: الطغيان والاستضعاف.

١ – الطغيان: وهو مرَضٌ نفسي يصيب النخبة اغترارًا بسلطة القوة أو سلطة الثروة؛ فتطغى وتعدو قدرها، وتتجاوز طورها الإنساني إلى درجة التألُّه، أي ادعاء ملكية "الأشياء"، وتقرير مصير "الأشخاص". وقد يكون الطغيان ضربًا من الغرور العقدي، وادعاء القداسة واستغلالها بحيث يتوهم المرء أنه يستطيع أن يُصَنِّف الناس إلى سعداء وأشقياء، ومقبولين ومردودين، ويحكم على مصيرهم، ويَصُكَّ لهم الصّكوك.

وفي صحيح مسلم مرفوعًا أن رجلاً قال والله لا يغفر اللهُ لفلان، وإن اللهَ تعالى قال: "مَنْ هذا الذي يَتَأَلَّى عليَّ ألاَّ أغفرَ لفلان، فإني قد غفرتُ لفلانٍ وأحبطتُ عملَك". وفي موطأ مالك أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي أن هلمّ إلى الأرض المقدسة، فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدس أحدًا، وإنما يقدس الإنسانَ عملُه، وفي التنزيل: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ﴾(آل عمران:٧٩).

ولقد كان للمعنى التوحيدي الإسلامي أثرٌ عظيمٌ في وقاية هذه الأمة من غائلة الاستبداد الديني، والتظاهر بالقداسة واستغلالها وتسخيرها، ومنع نظام الإكليروس، والإغراءِ بمناقشة مشروعيته ووجوده في الأديان الأخرى.

٢ – الاستضعاف: وهو كذلك مرضٌ نفسي يصيب السوادَ الأعظم من البشر، فيفقدُها إنسانيتها، ويحيلها إلى قطعانٍ بشرية مدجَّنة لا تستطيع أن تُعبّر عن رأي، ولا تَقدِر على شيء، ولا تشاركُ في تقرير مصيرها ومستقبلها، وإنما حالها كما أخبر سبحانه عن الإنسان غير المُوَحِّد: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(النحل:٧٦).

فالإنسان حين يطغى أو يُذِلّ نَفْسَه أو يُعَرِّضها للصغار والمهانة، فإنه يَلْبِس إيمانَه بظلم، ويناقضُ رُوحَ توحيده

ولُبَابَ عَقْده وإيمانه. ولذلك، كان برنامج الإسلام العقدي والثقافي والاجتماعي والسياسي، الالتزامَ بالخط الوسط بين الطغيان والاستضعاف الموسوم بـ"الاستقامة"، وهو عبارة عن خطِّ العدل الذي يُحتِّم على الفريقين معًا -يعني الطغاة والمستضعفين- العَوْدَ إلى طاعة الله والاعتراف له بالخضوع والمِلكية الحقيقية والتصرف.

ومن ثَمّ، عَرَّفوا التوحيد بأنه "لا يستحقُّ الخضوعَ شيءٌ سوى الله"؛ وهو يتجسّد في وعي المكلفين وعقيدتهم، ويتجلّى في أوضاع الأمة الفردية والمجتمعية وتربية ناشئتها وأجيالها، وصياغة نظم حياتها وثقافتها ورموزها وفنونها على عدم الإذعان والانقياد لغير الله تعالى. فكُل مخلوق -عدا النبي المعصوم ﷺ- يؤخذ من كلامه ويُرد، وتُناقش أوامره، وتُعْرف وتُنكَر، وتُنتقدُ أفعاله وتصرفاته... بمعنى أن التوحيد هو القطبُ المناقض بالضرورة لثقافة التقديس وثقافة التبعية، والطاعة العمياء التي تُفرزها الإيديولوجيات المختلفة المكرسة لترويض أتباعها على الصّمت والخضوع المطلق.

إنها ثقافة التشريك أو الصّنمية التي تتبدّل أشكالُها ولَبُوساتُها في التجربة الإنسانية التاريخية، ولكن جوهرها واحد يتكرر في المظاهر الثلاثة الآتية:

• سيطرة القوي على الضعيف، وسلبه حريته في الرأي، وحريته في التعبير، وحريته في الحركة والتصرّف.

• سلبه ممتلكاته، والاستئثار بفرص العيش دونه وكذا بموارد الثروة العامة.

• تشكيل وعي الضعفاء وإرادتهم وثقافتهم وإعلامهم وتعليمهم، ليصبح القهرُ والسلبُ والجبر والاستضعافُ جزءًا من عقيدتهم ولغتهم اليومية، وقيمهم الفكرية والاجتماعية.

وبالمقابل، يحقّق التوحيد للإنسان ثلاثة أمور أساسية:

١- نعمة الحرية؛ حرية الإنسان الحقيقية والكاملة في توحيد الله تعالى، حيث لا وسيط بينه وبين الله تعالى، ولا يستطيع أحدٌ أن يحكم عليه أو يقرر مصيره نيابة عن الله، ولا يسوغ لأحد أن يَدَّعي حقَّ السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربّه، أو ينازِعَه في طريق نظره واجتهاده... كما لا يسوغ لأحد أن يسترق إنسانًا أو يستعبده، لأن الشارعَ متشوّف إلى الحرية، وقد عبر عمر ﷺ عن هذا المبدأ الأصيل بقوله: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا".

٢- نعمة التسامي؛ وهي وعي الإنسان بإنسانيته الفطرية كما جُبل عليها، مما لا يسمح بأي شكل من أشكال تدجينه أوتسخيره أوتَشييئِه، بمعنى تحويله إلى متاع يُمْلَك... لأن الإنسان في ظل التوحيد يَملِك ولا يُملَك؛ إنه ليس شخصية تسويقية قابلة للتبادل والمقايضة، كما أنه ليس "رقمًا استدلاليًا" على نحو ما تصطلح عليه المؤسسات المالية، كما أنه ليس "صوتًا انتخابيًا" يُباع ويُشترى، ولا مسمارًا في آلةٍ... وإنما هو الإنسان المُكرَّم وحسب.

٣- نعمة المساواة مع الغير؛ فإن الحرية إنما ينالها المرءُ بعد شعوره بوجوب مساواته مع غيره فيها، وإلا كانت الاستعبادَ الذي نُفِّرَ منه.

فالتوحيد يحقق للمرء المساواة مع غيره في ضرورة تصريف شؤونه ومصالحه، وتقرير مصيره ومستقبله... وهو الذي يُشعره بذاته المستقلة التي تأبى الفناء في الآخرين والانمياع فيهم، ويمنحه القدرة على مراجعتهم ومساءلتهم ومفاوضتهم، وقول "لا" حيث يجب أن تقال.

والخلاصة، إن التوحيد هو القطب الإيجابي المؤتمن على حفظ إنسانية الإنسان من الوقوع أو التورط في مَصَارع الطغيان أو طبائع الاستضعاف. والإسلام إنما أدار جميعَ أصوله وفروعه على هذا المحور القطْب، وشدَّد على نبذ كل المفاهيم والقيم والأوضاع التشريكية، وعدها ظلمًا عظيمًا وإثمًا مبينًا... لأن خرق سياج التوحيد يفضي إلى مفاسد رهيبة في حياة الإنسان ووجوده وتوازنه، وثقافته ونظرته إلى نفسه وعلاقته بالآخرين.

إن مغزى التكليف التوحيدي، أن تتحقق إنسانية الإنسان على الفطرة التي فطره الله عليها، وأن تنتفي عواملُ الفتنة وعوارض التبديل والتحريف التي تَروم سلبَها أو تشويهها أو إعاقة نموها الطبيعي.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾(الحج:٣١)، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾(النساء:٤٨). ■

(*) عضو المجلس الأكاديمي للرابطة المحمدية للعلماء / المغرب.

طه كوزي*

"حراء المعنى"

تعزف "سمفونية البناء" بتونس الخضراء

إنه لقاء الأحبة... لقاء تجاوَز الزمان وتحدَّى عوارض المكان، فلمَّ شعَث الأمة بعد الشتات، وأذكى جذوة الأمل في النفوس، وأنكر الـ"أنا" وتأليه الذات... هنا استدار الزمن بعد تصرُّمه، فعادت اللُّحمة الإيمانية والوشيجة الفكرية لسابق عهدها، موصولة مفتولة بين العقول والقلوب بعد أن نُقِض غزلُها، وفُكَّت من عِقالها، وفتك بها الزمان، وضيق الإمْكان.

ها هنا لقاء رجلين مؤمنيَن عالِمَين عامِلَين؛ تَخِذا "المؤاخاة" قاعدة ومنطلقًا، وفَقِها أن الأمة لا يتبدل حالها ولا يستقيم أوَدُها إلا بتخصيب الفكرة وبناء الإنسان... إنهما رجلان قدَحا زناد "الفعل الحضاري" في صمت وأناة، صبوران صبْر "الطائر الحضون" في التربية وبناء العقول والقلوب... آمَنا بأن تبدُّل الأحوال ومحطَّ التجدُّد، لا يولد إلا من رحم المربّين وبُناة الإنسان، أمّا إن أخطأ الروادُ هذا "التدبير" و"حسن التخيير"، دفعت الأمّة فاتورة "تجنين الزمان" وتباعَد "المقصد والمرام".

في حيّ تُطل عليه "صومعة الزيتونة" شامخة، ويعبُق عليه أريجها، تعانق رجلا "الفكر القاصد" و"الفعل الراشد" وتساندا، وتعارف أبناؤهما فتآلفا، وبهذه اللطائف والنسائم، وعلى إثر تلكم المعاني والمعالم، سرى ركْب "ندوة الثقافة والفكر الإصلاحي بين تونس وتركيا؛ الجذور التاريخية والأسئلة الراهنة الشيخ الطاهر بن عاشور والأستاذ فتح الله كولن نموذجًا". فكانت لحظة تجدُّد الإيمان وتوفُّز العزائم بتلاقي الإخوان والعلماء والباحثين، ممَّن يمّم شطر "تونس الخضراء" من كل مَصْر وقُطْر؛ من "تركيا الشامخة"، ومن "شامة الإسلام" و"اختبار المسلمين الفاعلين" "البوسنة والهرسك"، ومن "موريتانيا" "مربع العلماء والشعراء"، ومن"مصر" سحر البيان، ومن "المغرب" الحبيب موطن الحلم والعلم، ومن "الجزائر" عطر المكان وموقد الإيمان.

افتتح الندوة الفكرية "معالي وزير الثقافة" الدكتور "مهدي مبروك" مستبشرًا بأمثال هذه المجامع العلمية، مهنّئًا "مركز الفاضل بن عاشور" على هذه الاستضافة والشراكة العلمية مع مجلة "حراء". وأكد معالي الوزير على عِوَز الأمة اليوم إلى "العقل الجمعي" و"الذكاء الجماعي"، لتجاوز ما يعصف بالأمة من مِحن وفِتن، مرسخًا فكرة الاستفادة من التجارب الإنسانية مهما تنوعت، على أن تأخذ بعين الاعتبار ضواغط السياق، وتبدُّل إحداثيات الزمان والمكان... بعدها عرّج بنا المشرف العام على مجلة "حراء" وأسرى، إذ أخذَنا الأستاذ "نوزاد صواش" في سياحة فكرية بين الأقطار من "جاوة" إلى "جاكرتا" مما وطئته أقدام "حراء" هذه السنة، مؤكدًا أن رسالة "حراء" جمْع شمل المفكرين وأصحاب "الهمّ الواحد"، وأبان الأستاذ دلالة "الشخصية المعنوية" للأستاذ "فتح الله كولن" ومشروع الخدمة في الإجابة عن الثنائيات المختزلة التي يرزح فيها عالم المسلمين -ولا يزال- من جنس "العقل أو القلب"، "العلم أو العمل"، "المادة أو الروح". فكانت إجابة "الأستاذ فتح الله" تجديدية متجاوزة للاختزال من

خلال تشييد "سلطنة للقلوب" من مدارسَ وجامعات ومصحات ومصانـع... وبناء لـ"جنـد الإدراك" و"أطباء المعنـى"... بعدها تحدث الأستاذ "سامي إبراهم" مدير مركز "الفاضل بن عاشور" عـن مقاصد هـذا اللقاء الفكـري الذي فتل النسـيج الحضاري للأمـة مـن خلال فكـر "الشـيخ الطاهر بن عاشـور" والأسـتاذ "فتـح الله كولـن"؛ فأولـى المقاصـد، والاسـتفادة مـن تجربـة مشـروع الخدمـة الـذي يمثل نموذجًـا للإسـلام المدني، بديلا عن الإسـلام السياسـي، وثانيهما، أن للشيخ الطاهر بن عاشور فضلَ السـبق، وللأسـتاذ "فتح الله" فضلَ التتمـة واكتمال البناء، وبدراسـتهما نكتسـب رؤية شـمولية في فلسـفة الإعمار والبناء الحضـاري. توجّـه الدكتور "عبـد الرزاق قسـوم" رئيس جمعية العلمـاء المسـلمين الجزائريـين بالكلمـة، مهنّئًـا هذا المسـعى الفكـري السـديد، واللُّحمة الإيمانية التي تسـد ثُلمة في جسـد الأمـة، وتنسـج ما تلِف من شـبكة علاقاتها وصلاتهـا الفكرية. بعدها تصدّر فضيلة الأسـتاذ "مصطفى أوزجان" مستشـار مجلة حـراء، ليؤكـد أن السـمة المفرقيـة للمشـاريع الإصلاحيـة في العالـم الإسـلامي، هي حركيـة الإيمان والعمـل الصالـح، وأن عصر السـعادة سـيبقى النموذج الأكمل للبشـرية جمعاء؛ إذ لم تكـن الفوضى لتعم الأمة لولا انفصـام القلب عن العقل، وبُعْدُ المسـلمين عن جذورهم المعنوية الذاتيـة، وتتلمُذُهم بين يدي المنظومـة الفكرية المادية... كما أوضح الأسـتاذ "أوزجان" أن مشـروع الأسـتاذ "فتح الله" متجاوز لعالم الأشخاص، رافل في عالـم الأفكار، لذا نهَج مشـروعُ الخدمة المنهجَ المؤسسـاتي، ليختم الأسـتاذ كلمته مذكِّرًا أن مسـؤوليتنا اليوم هي في الإجابة عـن أسـئلة ركْب الحيـارى وهمومه الـذي يبلـغ تعداده سـبع ملايير من البشر. وختم فضيلة الدكتور "خليل النحوي" مؤسس جامعـة المنـارة بموريتانيا الجلسـة الافتتاحية، مؤكـدًا أن آمالاً كبيـرة معلقـة بتونس الجديدة، ومنبّهًا إلى أن السـمة الأساسـية لفكر الرجلين الشـيخ "الطاهر بن عاشـور" والأسـتاذ "فتح الله كولـن" هي اشـتراكهما فـي رؤية حضارية متناغمـة، هي تحرير العقـول وتنويـر القلوب وإقامة صرح الـروح، من خلال عملية تربوية هادئة هادفة مركز ثقلها "الإنسان".

افتتح الدكتور "سمير بودينار" أستاذ علم الاجتماع السياسي بجامعـة محمـد الخامـس بوجـدة (المغـرب) الجلسـة العلمية الأولـى، بعـد أداء صـلاة الجمعة، محيـلًا الكلمة إلـى الدكتور "محمد جكيب" أسـتاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسـانية بمدينة

أ.د مهدي المبروك، السيد وزير الثقافة، تونس.

نوزاد صواش، المشرف العام على مجلة حراء، تركيا.

مصطفى أوزجان، مستشار مجلة حراء، تركيا.

سامي إبراهيم، مدير مركز الفاضل بن عاشور، تونس.

الجديـدة (المغرب)، متحدثًا عن "أحـلام الانبعاث بين النظرية والتطبيـق"، مؤكدًا على أن الخيار السياسـي في تاريخ الأمة لن يُفضي إلى تجدُّد حقيقي، ما لم يسبقه فعل تربوي روحي بنّاء... فالسياسـة مهما تفانـت، إلا أن بؤرة تحرُّكهـا "الأخذ" ومزالقها "الفرقـة" و"الشـنآن"، إلا أن الخدمة الإيمانيـة والعمل التربوي، مركـزُ ثقلِه "العطاء" و"نكران الـذات" و"نبذ الفرقة" و"الصدام". بعـد هذه المداخلة عـرج بنا الدكتور "علي المحجوبي" أسـتاذ التاريـخ الإسـلامي بجامعـة "تونـس" إلـى محطـات تاريخيـة حاسـمة للأمـة، متحدّثًا عن الشـيخ خير الدين باشـا التونسـي (١٨٢٢-١٨٩٠) وثمـرات جهـده الفكـري. فبالرغـم مـن أنـه عايـش سـياقًا حضاريًـا "متأزمًـا"، إلا أنـه قدّم إضافـات تربوية جليلة. ومن ثـَمَّ تصدَّر الدكتور "أحمد قعلول" أسـتاذ "فلسـفة اللغة" والدراسات الإسلامية بجامعة "لندن" الكلمة، مشيرًا إلى أن مـن أفضال الشـيخ "الطاهر بن عاشـور" تأسيسَـه لمحاضنَ تربوية لبناء الإنسـان، ونفخَه الروح لمؤسسات أخرى عبث بها الزمـان... وأكّد المحاضر على أن ما تشـهده جهات من العالم الإسـلامي من ثورات، تُعَدّ نقطـة انعطاف وتحوُّل في تاريخها، إلا أن الشـعوب المتحـررة أمـام تحدٍّ جوهـري ومفارقة دقيقة، كَـوْن نمـوذج الدولة الحديثـة الموروث من الأنظمة المسـتبدة نموذجًـا متأزمًـا مصمَّمًا لتكريـس الهيمنة والاسـتبداد، والذي تسـعى النخب الثورية لتوظيفه سـبيلاً للتحرر والانعتاق، ويبقى السـؤال مطروحًـا: هـل ستُسـعف الآلة (نمـوذج الدولـة) نوايا صاحبها، أم أنها ستقوم بدورها المحدّد مسبقًا؟

في الجلسـة العلمية الموالية تصدر الدكتور "سمير بودينار" الكلمة، متحدثًا عن البُعد العالمي الإنسـاني لفكر الأستاذ "فتح الله كولن" ومشروع الخدمة، حيث تُعد سمة "الرحمة للعالمين" فـي الخطاب والعمل صبغـة العالم الوارث لخصائص "النبوّة"، وبيّـن الدكتور كيف أن مشـروع الخدمة جعل من التعليم قضية "أمـة" تتحملها بنفسـها فكانت مؤسسـة التربيـة محركة حضور "الخدمـة" في مختلف مفاصل الحياة. وأبان الدكتور "سـليمان الدقور" أسـتاذ التفسير والدراسات القرآنية (الأردن) عن اهتمام الأستاذ "فتح الله" "بالعقل الجمعي" و"العمل الجماعي"... وفي هذا السـياق أوضـح الأسـتاذ المحاضر أن القضية المحورية في فكر الأستاذ "فتح الله"، اهتمامه "بمحو الذات" ومواجهة تألُّهها، وتعليمها "الانمحاء" و"تصفير الأنا"، وتُعَد هذه، الخاصية الميزة المعيارية لورثة الأرض وبناة الحضارة.

أ.د. عبد الرزاق قسوم، الجزائر.

أ.د. خليل النحوي، موريتانيا.

أ.د. محمد جكيب، المغرب.

أ.د. عمار جيدل، الجزائر.

في افتتاح اليوم الثاني ترأس الجلسة العلمية الأولى الدكتور "محمد الشتيوي" (تونس)، حيث أحال الكلمة إلى الدكتور "بلال حسن التل" (الأردن) رئيس تحرير "جريدة اللواء" ورئيس "رابطة علماء بلاد الشام" سابقًا... واستهل مداخلته بسؤال محوري مَتْنُه أن دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي قد بلغوا سُدة القرار اليوم، والتحدي الذي يطرح نفسه هو: هل البيئة العامة قابلة للتغيير، أم أن نخبة الإصلاح أخطأت المسلك الذي تُعد أولى خطواته "التربية" و"بناء المدرسة"؛ وبقراءة "منهج الأنبياء" في "الدعوة" و"الترشيد" نجدها مرتبطة أساساً بالتعليم والتربية... وفي هذا السياق نقرأ فكر الأستاذ "فتح الله كولن" وواقع مشروع الخدمة الذي اتخذ "الجهل والفقر والتخلف" أعداءً، واستلهم من سيرة المصطفى ﷺ منهج التجديد من فكرة "دار الأرقم بن أبي الأرقم" قبل بناء الدولة، فولّد بذلك نماذج لبناء الإنسان من بيوت الطلبة إلى المدارس والجامعات. بعدها تصدَّر الكلمة الدكتور "سليمان الشواشي" أستاذ العقيدة بجامعة الزيتونة سابقًا، متحدثًا عن جهود "الشيخ الطاهر بن عاشور" في إصلاح المنظومة التربوية وتحريك مؤسسات التربية لبناء الإنسان... ونبَّه الأستاذ المحاضر إلى أن أزهى مرحلة عاشتها "الزيتونة"، كانت حقبة إدارة الشيخ "محمد الطاهر بن عاشور"؛ حيث بلغ عدد المنتسبين إليها عشرة آلاف طالب علم... وقد تميزت المدرسة بجمع العلوم العقلية والقلبية في مقرراتها ومناهجها... فقد كانت جهود "الشيخ الطاهر" "الجندي المجهول" في بناء تونس اليوم. أحال رئيس الجلسة بعد ذلك الكلمة إلى الدكتور "حسن المناعي" أستاذ التفسير والدراسات القرآنية بجامعة تونس، حيث تحدث عن الجذور المعنوية للمدرسة الزيتونية المفتولة حبائلها مع أقطاب المدرسة الإصلاحية من جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا... وأوضح المحاضر بأن النقطة المحورية المأتلفة بين العَلَمين أن جهودهما كانت تتِمة ولم تشكل حالة "قطيعة" في البناء الحضاري، بل نهجت منهج التكامل والإسهام، وإتمام مكارم الأخلاق متجاوزين بذلك الصدام والشنآن.

افتتح الجلسة العلمية الثانية الدكتور "صفوت خليلوفيتش" (البوسنة والهرسك)، حيث أحال الكلمة للدكتور "خليل النحوي" ليؤكد على محورية المقاصد الشرعية في "فقه البناء" لدى العلَمين "الطاهر بن عاشور" و"فتح الله كولن"، مؤكدًا على

أ.د. سمير بودينار، المغرب.

أ.د. سليمان الدقور، الأردن.

أ.د. حسن المنّاعي، تونس.

أ.د. علي المحجوبي، تونس.

أن دعـاة الإصـلاح ينبغي عليهـم التنبُّه إلى أن الثـورة الداخلية التربويـة الهادئـة هـي مقدمة علـوّ البنيان الحضـاري. بعد ذلك تصدر الكلمة الدكتور "عبد الرزاق قسوم" رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لينبّه إلى قضايا محورية منها منهج نحْت المصطلح عند الأستاذ "فتح الله كولن" وكيف يولّد منها الأستاذ مفاهيـم تليـدة؛ ومنهـا "الجيـل الذهبـي"، و"الجهـاد الأبيض"، وأضاف أن مفهوم "المعقولية" ينبّئ عن صفاءٍ للذهن، وتشـرُّبٍ لمعانـي القرآن الكريـم الذي يُعد المنطلق فـي بنائه الحضاري والـذي يتسـم بـ"الفعاليـة"، و"الإيجابيـة"، و"الشـمولية". تلـت هـذه الإطلالة مداخلـة للدكتور "علي مبارك" حـول نماذج من الإصـلاح في تونس خلال القرن التاسـع عشـر، حيث نبّه إلى معضلـة حقيقيـة هي جهل المسـلمين بتجـارب بعضهم بعضًا، ولعل من حسـنات نـدوة اليوم، ربط أواصـر الأمة وفتل حبائل تواصلهـا من جديد... وقد عالج الدكتور في مداخلته إشـكالية "المرجعيـة" التي خيّمت على المجتمعات الإسـلامية، وزادت مشـاريـع التجديـد والانبعـاث "غربة"... وفي ختـام حديثه أكد علـى مباحـث محورية تسـتحق التدقيق والبت فيهـا والتفعيل، منها "شـمولية المشروع الإصلاحي وحضوره في شتى مفاصل الحياة"، و"الاستناد إلى المقاصد والكليات"، و"محورية القرآن فـي البناء الحضـاري"، و"تزكية النفس وتهذيبها". من جهته أكّد الدكتـور "عمار جيدل" أسـتاذ العقيدة ومقارنـة الأديان بجامعة الجزائـر أثنـاء مداخلته، علـى دلالة "التلطف" التي يسـتند إليها فكر الأسـتاذ "فتح الله كولن"، ويتوقف عليها مشـروع الخدمة، فـي تجاوز "الصـدام" والجـدل حـول "الجزئيـات"، والارتقاء إلـى التضلـع بـأداء أكثر فعالية فـي مختلف مفاصـل الحياة... ونبّـه الدكتـور إلى قضية هامـة جوهرها أن مـن خصائص رائد "الإصـلاح" و"التجديـد" و"الانبعـاث" تمثُّـلَ خصائـص الأمة لتجتمـع حوله الأمة... كما أشار الأستاذ إلى دلالة "تجنين الزمن" عنـد الأسـتاذ "فتح الله"، التـي تدفـع فاتورتها الأمـة إن خالفَت خيـاراتُ "رواد الإصـلاح" إحداثيات الزمـان ودواعي المكان. وفـي شـهادة حية له عـن واقـع "الخدمة" والخطـوات الأولى التي خطاها في البوسـنة والهرسـك. تحـدّث الدكتور "صفوت خليلوفيتـش" عن الشـباب الأربعة الذين تخطـوا الممر الوحيد في مدينة "سراييفو" المتصل بالمطار أوان حرب البوسنة، حيث كان مرامهـم الأول والأخيـر فتـح القلـوب وإنشـاء المدارس، فتجاوزوا بذلك الزمن ورسـموا مشهدًا من مشاهد صحابته ﷺ.

أ.د. علي مبارك، تونس.

أ.د. صفوت خليلوفيتش، البوسنة والهرسك.

أ.د. محمد باباعمي، الجزائر.

أ.د. سليمان الشواشي، تونس.

في الجلسة العلمية الختامية التي أدارها الأستاذ "نوزاد صواش"، أحال الكلمة في مستهلها إلى الدكتور "محمد المستيري" رئيس تحرير مجلة "رؤى"؛ حيث نبّه الأستاذ المحاضر إلى أن أزمة عالم المسلمين اليوم "أزمة إنسان"، والتي تجعلنا أمام تحديات جوهرية، وهي تحرير الإنسان من أية عبودية مادية أو جسمانية أو استهلاكية أو إيديولوجية... وأشار إلى أن هذه الأزمة تكْمن في استعباد الرأسمال الإنساني لحساب الرأسمال المادي، ويعد هذا التحدي من أخطر التحديات التي تعترض مسيرة حركات التجديد والانبعاث. بعدها نبّه الأستاذ "نوزاد" إلى ملاحظة مفرقية وهي أن أكثر ما يضير الأستاذ "فتح الله كولن" نسبة الأثر الخيّر لمشروع الخدمة إلى شخصه، ويَعتبر هذا الفعل شركًا بالله... فالأنسب حسب رؤية الأستاذ "فتح الله" نسبة الخير إلى ما أسمى الله به عباده "هو الذي سماكم المسلمين من قبل". بعد ذلك تصدّر الدكتور "محمد باباعمي" مدير معهد المناهج في الجزائر متحدثًا عن المسؤولية الأخلاقية التي ينبغي للمسلم أن يتحلى بها وهو يحلّل ويفكّك ويركّب، فإن كان مفرغًا من التوتر والهمّ الحضاري صار الفعل حصيدًا بعد ذلك، أما إن كان القلب محترقًا والعقل متوترًا انطلق الفعل وأثمر... وأبان الأستاذ المحاضر عن أن المنظومة المهيمنة قائمة على إغراق العقل والقلب في الجزئيات والتفاصيل، وأن العقل والوجدان المسلم لا يمكنه بناء الفعل إلا من خلال بناء قواعد كلية تؤطر النظر وتوجه السَير... ودَلّل على ذلك عددًا من القواعد الكلية من جنس "الخيرية رهينة بصفاتها"، "تصفير الذات ونكران الذات"... وختم اللقاء الأستاذ "جمال ترك" مدير مركز الدراسات الأكاديمية، بطلب من الأستاذ "نوزاد"، برواية حادثة هو الشاهد الوحيد عليها حين دخل مكتبة الأستاذ "فتح الله كولن" ليصُفَّ بها كتابًا قرأه: فنظر إليه "الأستاذ" بنظرة مدققة ثاقبة، ثم أخذ الأستاذ الكتاب بيده -وكان الكتاب عنوانه: حياة الصحابة- وخاطب الأستاذ "جمال": "يا جمال، لطالما وددت أن أقول لك ولإخوانك: كونوا مثل هؤلاء أو موتوا". وعقّب الأستاذ "جمال" بعد الحادثة قائلاً: فلم نستطع أن نكون ولا أن نموت"، ولعل السؤال يطرح نفسه عليَّ أولاً، وعلى قارئ هذه الأسطر ثانيًا: فهل كُنَّا؟ وإن لم نكن فهلَّا فعلنا؟ وإلا فهل... ■

أ.د. أحمد قعلول، تونس.

(*) كاتب وصحفي ومدير تنفيذي، معهد المناهج / الجزائر.

نور الدين صواش*

السُّلطان عبد الحميد الثاني

"نادر آغا" مرافق السلطان عبد الحميد الثاني يحكي لنا هذه القصة التي عاشها بنفسه. يقول: موظف يعمل براتب ضئيل في مؤسسات الدولة مقداره ٥٠٠ قرشًا، إذ لم يكن هذا الراتب يكفيه لإعاشته وإعاشة أهله... زوجته حامل ووشيكة على الولادة... وفي ليلةِ شتاءٍ قارس تبدأ فجأة آلام المخاض والتوجعات... يرتبك الرجل ولم يعرف ماذا يفعل، إذ لم يكن لحظتها يملك ولا درهمًا واحدًا... كيف سيحضر الطبيب؟ ومن أين سيأتي له بالنقود؟ وهو يدور في وسط الغرفة بانفعال وقلق، يهديه تفكيره إلى الاتصال بقصر السلطان... يُسرع إلى البريد ويرسل برقية إلى السلطان يعرض فيها حالته المأساوية ويطلب منه الإعانة والنصرة العاجلة.

وفي الليلة نفسها تصل البرقية إلى القصر، ويتم عرضها إلى السلطان مباشرة. يقول "نادر آغا":

تأثّر السلطان عبد الحميد الثاني تأثرًا شديدًا مما سمع، فلم يعد يتحمل، فشدّ الرسالة من يد القارئ وبدأ يمرر نظره عليها بحزن وغمّ... تغيّرت ملامحه واصفرّ لونه من شدة الخطب... أطرق رأسه ثم قال وعيونه مغرورقة بالدموع: ربّاه... أعنّي على مؤازرة هؤلاء المساكين، ولا تجعلني من الرعاة الذين لا يبالون برعيتهم، ولا يهتمون بأمورهم... ربّاه... ربّاه...

ثم أمرني أن أجهّز سيارة إسعاف القصر على الفور، وأن آخذ طبيب القصر الخاص به، وبعض الممرضات والدايات، تلبية لنجدة ذلك المسكين... وطلب مني أن أخبره بكل ما يحدث بالسرعة القصوى.

فأخذتُ معي "باسِم عمر" طبيب القصر، و"جميل باشا" مسيّر شؤون القصر، والدايات، واتجهنا جميعًا نحو بيت الرجل مسرعين.

وعندما عدتُ إلى القصر قبيل الفجر، وجدتُ السلطان عبد الحميد ينتظرني بفارغ الصبر، كان الإرهاق والتعب باد عليه بسبب التفكير بحال الرجل الفقير ومصير زوجته الحامل... فبشّرته بأن المرأة وَلدتْ ذكرًا وجهه كالبدر ليلة التمام، وأن أباه سمّاه عبد الحميد، وأن المرأة بكمال الصحة والعافية، وأنهما يدعوان لكَ بالخير وطول العمر... عندها أشرق وجهه بابتسامة...حمد الله وأثنى عليه على ما أولاه من نعمة... ثم بهدوء دخل إلى غرفته للاستراحة. ■

(*) نشرت في جريدة "ترجمات" في ٩ يناير ١٩٧٥.

سمك القرش.. تصميم عجيب

قرأت في إحدى الجرائد، أن إحدى شركات الطيران "تكسو طائراتها بجلد سمك القرش" وأن هذا الكساء متعدد الوظائف؛ يقلل الاحتكاك بالهواء ويزيد السرعة"[1].

تُرى ما السبب في اختيار سمك القرش لهذا الغرض؟!

أجرى العلماء دراسات معمّقة حول "سمك القرش" ليعرفوا السر الكامن وراء تحرّكه السريع في الماء، والسر في مقاومته له... فذهلوا بالتصميم العجيب المتكامل لهذا المخلوق... إذ وجدوا أن جسمه مكسو بقشورٍ صغيرةٍ قُرصيّةِ الشكل تؤدي إلى تقسية الجلد وإكسابه الجفاف على الدوام... ثم انتبهوا إلى أن هذا القرش الشبيه بالصاروخ، يملك ذيلاً هلاليَّ الشكل جزؤه الأعلى أطول من جزئه الأسفل... وانتبهوا كذلك إلى تمتع هذا المخلوق بزعانف جانبية تحفظ له التوازن خلال السير السريع.

هذه وغيرها من العوامل، تمدّ هذا المخلوق بالقوة الفائقة والسرعة التي تصل إلى ٨٠ كلم في الساعة الواحدة.

كما أن سمك القرش كلما أسرع في السير كلما حصل على كمية أكبر من الأكسيجين؛ وذلك من خلال خياشيمه التي تمتص الأكسجين من فقاعات الماء الذي يمر من الشقوق الطويلة أو الأخاديد الدقيقة في جلده على جانبي رأسه... واكتشفوا كذلك أن سمك القرش، لا يملك كيس عوم هوائي -وهو كيس يساعد معظم الأسماك على البقاء في عمق معين دون غرق- إنما عُوّض بكبدٍ يمتلئ بالزيت، والزيت بطبيعته أخف من الماء، ولا شك أن هذا الأمر، يسهل عليه السباحة ويمكّنه -بالتالي- من البقاء في العمق الذي يريده. ولكن الملفت للنظر أن على هذا المخلوق، أن يسبح بشكل متواصل ليقي نفسه من فقدان التوازن ومن ثم من الغرق والهلاك.

وهل إكساء الطائرات برقائق صناعية، أو تصاميم سيارات الفورمولا ١ لتسير بسرعة تتجاوز سرعة السيارات الأخرى، إلا محاكاة للقرش ومحاكاة لتصميمه العجيب؟! ■

(*) كاتب وباحث تركي.

(١) جريدة الشرق الأوسط، العدد: ١٢٤٩٩، ٥ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ-١٦ فبراير ٢٠١٣م.

حراء

مجلة علمية فكرية ثقافية

www.hiramagazine.com

مجلة علمية فكرية ثقافية تصدر كل شهرين عن:

Işık Yayıncılık Ticaret A.Ş

İstanbul / Türkiye

صاحب الامتياز

مصطفى طلعت قاطيرجي أوغلو

المشرف العام

نوزاد صواش

nsavas@hiramagazine.com

رئيس التحرير

هانئ رسلان

مدير التحرير

أجير أشيوك

المخرج الفني

مراد عرباجي

المركز الرئيس

HIRA MAGAZINE

Kısıklı Mah. Meltem Sok.

No:5 34676 Üsküdar

İstanbul / Turkey

Phone: +902163186011

Fax: +902164224140

hira@hiramagazine.com

مركز التوزيع

٧ ش البرامكة - الحي السابع - م.نصر/القاهرة

تليفون وفاكس: 5-20226134402+

الهاتف الجوال : 201004871038+

جمهورية مصر العربية

نوع النشر

مجلة دورية دولية

Yayın Türü

Yaygın Süreli

الطباعة

Çağlayan Matbaası

İzmir - Turkiye

Tel:+90 (232) 252 20 96

رقم الإيداع

١٨٧٩-١٣٠٦

للاشتراك من كل أنحاء العالم

pr@hiramagazine.com

حراء

مجلة علمية فكرية ثقافية

www.hiramagazine.com

التصور العام

- حراء مجلة علمية فكرية ثقافية تعنى بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية وتحاور أسرار النفس البشرية وآفاق الكون الشاسعة بالمنظور القرآني الإيماني في تآلف وتناسب بين العلم والإيمان، والعقل والقلب، والفكر والواقع.
- تجمع بين الأصالة والمعاصرة وتعتمد الوسطية في فهم الإسلام وفهم الواقع، مع البعد عن الإفراط والتفريط.
- تؤمن بالانفتاح على الآخر، والحوار البناء والهادئ فيما يصب لصالح الإنسانية.
- تسعى إلى الموازنة بين العلمية في المضمون والجمالية في الشكل وأسلوب العرض، ومن ثم تدعو إلى معالجة المواد بمهنية عالية مع التبسيط ومراعاة الجوانب الأدبية والجمالية في الكتابة.

شروط النشر

- أن يكون النص المرسل جديدا لم يسبق نشره.
- ألا يزيد حجم النص على ٢٠٠٠ كلمة كحد أقصى، وللمجلة أن تلخص أو تختصر النصوص التي تتجاوز الحد المطلوب.
- يرجى من الكاتب الذي لم يسبق له النشر في المجلة إرسال نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية.
- تخضع الأعمال المعروضة للنشر لموافقة هيئة التحرير، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء أي تعديل على المادة المقدمة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة غير ملزمة بإعادة النصوص إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، وتلتزم بإبلاغ أصحابها بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- تحتفظ المجلة بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وحسب التوقيت الذي تراه مناسبا.
- النصوص التي تنشر في المجلة تعبِّر عن آراء كُتَّابها، ولا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلة.
- للمجلة حق إعادة نشر النص منفصلًا أو ضمن مجموعة من البحوث، بلغته الأصلية أو مترجمًا إلى أي لغة أخرى، دون حاجة إلى استئذان صاحب النص.
- مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.

يرجى إرسال جميع المشاركات إلى هيئة تحرير المجلة على العنوان الآتي:

hira@hiramagazine.com

YEMEN
دار النشر للجامعات
الجمهورية اليمنية، صنعاء، الخط الدائري الغربي،
أمام الجامعة القديمة
Phone: +967 1 440144
GSM: +967 711518611

ALGERIA
Bois des Cars 1 Villa N°68 Dely Brahim
GSM: +213 770 26 00 27

SUDAN
مركز دار النيل، مكتب الخرطوم
أركويت مربع 48 منزل رقم 31 - الخرطوم - السودان
Phone: 0024 999 559 92 26 - 0024 915 522 24 69
hirasudan@hotmail.com

JORDAN
شركة زوزك/شميساني شارع عبد الحميد شرف، بناية رقم:61
عمان/الأردن.
Phone: +962 656 064 44
GSM: +962 775 935 756
hirajordan@woxmail.com

UNITED ARAB EMIRATES
دار الفقيه للنشر والتوزيع
ص.ب. 6677 أبو ظبي
Phone: +971 266 789920

MAURITANIA
Phone: +2223014264

USA
Tughra Books
345 Clifton Ave., Clifton,
NJ, 07011, USA
Phone:+1 732 868 0210
Fax:+1 732 868 0211

SAUDI ARABIA
الوطنية للتوزيع
Phone: +966 1 4871414
المكتب الرئيسي: شارع التخصصي مع تقاطع شارع
الأمير سلطان بن عبد العزيز عمارة فيصل السيار
ص.ب: 68761 الرياض: 11537
الجوال: 00966504358213
saudia@hiramagazine.com
abdallahi7@hotmail.com
Phone-Fax: +966 1 2815226

MOROCCO
الدار البيضاء ٧٠ زنقة سجلماسة
Société Arabo-Africaine de Distribution,
d'Edition et de Presse (Sapress)
70, rue de Sijilmassa, 20300 Casablanca / Morocco
Phone: +212 22 24 92 00

EGYPT
٣٧ شارع د. عبد الشافي محمد - الحي السابع، مدينة نصر - القاهرة.
هاتف: 201065523089+ - 201119482609+
hiraegypt@gmail.com

SYRIA
GSM: +963 955 411 990

فتح الله كولن في

شؤون وشجون

أديب إبراهيم الدباغ

- عصارات فكر.. وتنزلات روح...
- رؤى أعماقية.. وأبعادًا آفاقية...
- المسلم في آماله وآلامه..
- في خريفه الشجي.. وربيعه المعطاء السخي...
- حزمة أشجان.. مع باقة أفكار...
- ذات المسلم.. تاريخها.. تشكلاتها...
- التاريخ.. ما سرُّ حياته.. وما سرّ سرمديته..؟!

مركز التوزيع فرع القاهرة : ٧ ش البرامكة، الحي السابع، مدينة نصر – القاهرة / مصر

تليفون وفاكس : 5-20226134402+ الهاتف الجوال : 201004871038+

www.daralnile.com

دار النيل

تركيا: ٦ ليرات • أوروبا: ٣,٥ يورو • أمريكا: ٥ دولار • المملكة العربية السعودية: ١٢ ريال سعودي • اليمن: ٣٧٥ ريال يمني • المغرب: ٢٠ درهم • الجزائر: ٢٥٠ دينار

حراء
مجلة علمية فكرية ثقافية
www.hiramagazine.com

حُلم ومكابدات

أن تضيّعوا نورا ملكناه.. حذارِ!..
حذارِ.. حلمٌ جميل قرونا انتظرناه،
اِستلّه الشيطانُ منا مذ سنين وسنين،
حلم المستقبل هو... غَمرَنا ضِياهُ،
حذارِ! حذارِ أن تُطفِئوا سَناهُ...

* * *

ISSN 1306-1879
9 771306 187009 37
www.hiramagazine.com
Temmuz - Ağustos 2013 Sayı: 37 Fiyatı: 6 TL.